

الأولياء والسلطة في المغرب الأوسط خلال القرنين (7-8 هـ / 13/14 م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ
تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:
• أم الهناء بن سعود
• سعيدة خاليفة
إشراف الأستاذ:
أ.د/ البشير غانية

نوقشت المذكرة علنا يوم:/.... /2023
أمام اللجنة المكوّنة من الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اللجنة
رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أستاذ محاضر ب	عبد الحميد العابد
مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أستاذ تعليم عالي	البشير غانية
ممتحنا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أستاذ محاضر أ	أحمد بن خيرة

السنة الجامعية: 1443-1444 هـ - 2022-2023 م

الأولياء والسلطة في المغرب الأوسط خلال القرنين (7-8هـ / 13/14م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ
تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين: أم الهناء بن سعود
سعيدة خايفة
إشراف الأستاذ: أ.د/ البشير غانية

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2023/..../....

أمام اللجنة المكوّنة من الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اللجنة
رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أستاذ محاضر ب	عبد الحميد العابد
مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أستاذ تعليم عالي	البشير غانية
ممتحنا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أستاذ محاضر أ	أحمد بن خيرة

السنة الجامعية: 1443-1444هـ - 2022-2023م

شكر العرفان

أول ما نفتتح به هو الحمد والشكر لله عز وجل الذي انعم علينا بنعمة
العقل وألهمنا إلى ما فيه الخير والفلاح طيلة مشوارنا الدراسي
نتقدم بأيات الشكر و العرفان للأستاذ المشرف الدكتور بشير غانيا
على مجهوداته المبذولة لكي ترى هذه الدراسة النور
كما نتقدم بجزيل الشكر و العرفان لكل أساتذة تخصص التاريخ الوسيط
بما فيهم أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا مشقة قراءة هذا العمل
المتواضع و تصويبه

أهدى إلى أمي

أهدي هذا العمل المتواضع
إلى أمي التي زودتني بالحنان والمحبة
وإلى أبي الذي لم يبخل عني يوماً بشيء
إلى إخوتي وإخواتي الذين كانوا عوناً لي في مسيرتي الدراسية

سعيدة خلايفة

أفكار عاشقة

إلى من أفضلها على نفسي ولما لا
فلقد ضحّت من أجلي ولم تدخر جهدا في سبيل أسعادي على الدوام
أمي الحبيبة نسير في دروب الحياة
ويبقى من يسيطر على أذهاننا في كل مسلك نسلكه
صاحب الوجه الطيب والأفعال الحسنة
والذي العزيز رحمه الله و أسكنه فسيح جنانه
كما أهدي عملي هذا إلى سندي ومسندي واتكائي زوجي رفيق دربي
وإلى اصدقائي وإخوتي وأم زوجي
ومن وقف بجواري وساعدوني بكل ما يملكون
اقدم لكم هذا البحث وأتمنى أن يحوز على رضاكم

أم الهناء بن سعود

الملخص:

ومخلص ما ورد في مذكرتنا هذه هو أن الأولياء في المغرب الاوسط خلال القرنين الـ7 و8هـ-13 و14م كان لهم مكانة كبيرة لدى السلطة وتظهر بشكل جلي من خلال المناصب والخطط التي كانوا يعرضونها للسلطين على الاولياء إضافة إلى الهدايا والأموال التي كانوا يقدمونها لهم ويرغبون دائما بالالتقاء بهم والحضور لمجالسهم، وذلك لإدراك السلطين مدى الروابط والعلاقة الشديدة التي تجمع الاولياء بالعامّة والهيبة التي صارت لهم لدى الناس باختلاف مستوياتهم واعتقاد الكثير فيهم، واسهاماتهم في الإصلاح و التكافل الاجتماعي والاهتمام بالفئة المحرومة، ورسوخ ونمو التصوف داخل المجتمع، وقد عمل الاولياء أيضا على حل الأزمات السياسية والمشاكل الاجتماعية .

ورغم المجهودات التي كانوا يقومون بها السلطين من أجل تقريب الاولياء لهم إلا أن الاولياء ابو الانخراط مع السلطة تحسبا لآخرتهم .

ولقد استغل أولياء الصوفية هذه المكانة الدينية والروحية والاجتماعية، في قضاء حوائج الناس عند السلطة و التأثير عليها لان أكثر الحكام يعتقدون بهم، ويخشون عواقب مخالفتهم وهذا بالنسبة للأولياء سند اجتماعي وسياسي .
عموما تميزت الفترة المدروسة بحالة من السلم و الاستقرار بين الاولياء والسلطة ولم تكن بينهما نزاعات أو تصادمات كما وقع في زمن المرابطين و الموحدين سابقا .

Abstract

Sincerely, what was mentioned in this memorandum is that the saints in the Middle Maghreb during the 7th and 8th centuries AH-13th and 14th centuries AD had a great position in the authority and it appears clearly through the positions and plans that the sultans offered to the saints in addition to the gifts and money that they presented to them and they always wanted to meet with them and attend their councils This is due to the sultans realizing the extent of the ties and strong relationship that unites the saints with the public and the prestige that they have with people of different levels and the belief of many in them, and their contributions to reform and social solidarity and concern for the disadvantaged group, and the consolidation and growth of Sufism within society, and the guardians also worked to solve political crises and social problems.

Despite the efforts made by the sultans in order to bring the guardians closer to them, the guardians refused to engage with the authority in anticipation of their afterlife.

The saints of Sufism took advantage of this religious, spiritual and social status, in meeting the needs of people with authority and influencing them because most rulers believe in them, and fear the consequences of violating them, and this for saints is a social and political support.

In general, the studied period was characterized by a state of peace and stability between the saints and the authority, and there were no conflicts or clashes between them, as happened during the time of the Almoravids and the Almohads previously.

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتويات
III	شكرا وعرفان
IV	إهداء
V	الملخص:
VI	فهرس المحتويات
1	مقدمة
الفصل الأول: الأولياء ودورهم في مجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين (8،7هـ / 13،14م)	
6	I- تعريف الأولياء ومراتبهم:
6	1- تعريف الأولياء
8	2- مراتب الأولياء:
12	II- الحياة اليومية للأولياء:
12	1- مآكلهم:
13	2- ملبسهم:
15	3- مسكنهم:
16	4- مهنتهم:
17	5- حياتهم الأسرية:
18	6- قبورهم وجنائزهم:
20	II- دور الأولياء في مجتمع المغرب الأوسط:
20	1- الدور الديني والأخلاقي:
22	2- التكافل الإجتماعي:
الفصل الثاني: السلطة في المغرب الأوسط خلال القرنين (7-8 هـ - 13-14 م)	
27	I- السلطة وتطورها في التاريخ الاسلامي
27	1- تعريف السلطة:
28	2- تطور السلطة في التاريخ الإسلامي:
30	II - أهم سلاطين المغرب الأوسط خلال القرن (8،7هـ/13،14م):
30	1- الدولة الحفصية:
34	2- الدولة الزيانية:
37	III- دور السلاطين في مجتمع المغرب الأوسط
37	1- عناية السلاطين بالعلم والعلماء:
39	2- جهود السلاطين لتجاوز الأزمات الاجتماعية:

الفصل الثالث: العلاقة بين الأولياء والسلطة في المغرب الأوسط خلال القرنين 7-8 هـ / 13-14م	
44	I- الأولياء والسلطة بين الاحتواء والحذر
44	1- احتواء السلطان للولي:
49	2- انقباض الولي عن السلطان:
50	3- رفض المناصب والخطط والبعد عن أموال السلطان:
53	II- إسهامات الأولياء في الحياة السياسية.
53	1- عوامل تجنب الصدام بين الولي والسلطان:
55	2- دور الأولياء في الأزمات السياسية:
57	الخاتمة
59	الملاحق
62	قائمة المصادر والمراجع

فهرس الملاحق

الصفحة	عنوان الملحق	الرقم
60	خريجة مدينة تلمسان في العهد الزياني	1
61	تلمسان في القرن الرابع عشر والأسوار المحيطة بها	2

مقدمة

مقدمة:

يعتبر التصوف عنصرا مهما من عناصر التراث الإسلامي، وكحركة تستهدف تعميق المضامين الروحية كان لها تأثير عميق في مجرى الحياة اليومية لسكان المغرب الأوسط في العصر الوسيط، ولا غرو حيث عد الموضوع من اختصاص السوسيولوجين والأنثروولوجين أكثر من المؤرخين، بينما هو في واقع الأمر إنتاج اجتماعي وإفراز لأوضاع تاريخية، وواقع يزخر بالتناقضات، فإن حركة التصوف في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة شكلت معلمة هامة في تاريخه الاجتماعي، وقد جاء ظهورها لأزمات تعرض لها المجتمع لذلك كان من الواضح أن يساهم أولياء الصوفية في خلق التوازن على جميع الأصعدة، لهذا حظي الأولياء بمكانة عظيمة في الوسط الاجتماعي وشهدوا التفاف شعبي كبير الذي كان له أثر بارز على الكيان السلطوي بالمغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة، فالحديث عن الأولياء والسلطة يحيلنا إلى التحدث على فئتين متناقضتين، فالأولياء أصحاب تيار فكري سلوكي يعتبر الحياة الدنيا طريقا لدار الآخرة، والسلطين أصحاب ملك ويحاولون بشتى الطرق الحفاظ عليه، ومن هذا المنطلق فموضوع دراستنا يكون تحت عنوان:

الأولياء والسلطة في المغرب الأوسط خلال القرنين الـ 7 و 8 الهجريين والـ 13 و 14 الميلاديين.

ومن خلال هذا العنوان فالإشكالية تطرح نفسها: ما طبيعة العلاقة بين الأولياء والسلطة بالمغرب

الأوسط خلال القرنين الـ 7 و 8 الهجريين والـ 13 و 14 الميلاديين؟

أما بالنسبة للإشكاليات الفرعية، ماهو تعريف الولي؟ كيف حدد الصوفية نظامهم التراتبي الذي يبني عليه مجتمعهم الولائي؟ كيف كانت الحياة اليومية للأولياء؟ وما دورهم في مجتمع المغرب الأوسط؟ من هم أهم السلطين الذين شهدهم المغرب الأوسط خلال القرنين الـ 7 و 8 الهجريين والـ 13 و 14 ميلاديين؟ ما هو موقف السلطة من الأولياء؟ وكيف كان رد فعل الأولياء إزاء احتواء السلطة لهم؟ هل شهدت هذه الفترة صداما بين الأولياء والسلطة؟ ما هي العوامل المؤدية لذلك؟

والأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع نذكر، ميلنا مثل هذه المواضيع التي تتعلق بالحياة

الاجتماعية في المغرب الوسط، واجتهادنا لتقديم دراسة جديدة فيما يخص التاريخ المناقي.

أما بالنسبة للأهداف الدراسة فهي محاولتنا لمعرفة العلاقة التي كانت بين الأولياء والسلطة في المغرب

الأوسط خلال العصر الوسيط.

ومن خلال الإشكالية الرئيسية وتساؤلات الفرعية قسما الدراسة إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، فقد إحتوت المقدمة على تمهيد للموضوع وطرح الإشكال العام والإشكاليات الفرعية التي سنحاول الإجابة عنها أثناء الدراسة، وأسباب ودوافع اختيار الموضوع، ثم تطرقنا لهدف الدراسة، ثم الخطوط العريضة للدراسة دون أن ننسى المنهج المتبع مع نقد لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، والإشارة لأهم الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا أثناء إنجاز هذا العمل، أما بالنسبة للفصل الأول تطرقنا فيه لدراسة الأولياء من خلال تعريفنا للولي وتحديد مراتب الولاية، والحياة اليومية للأولياء التي تتمثل في (المأكل والملبس والمسكن... الخ)، ثم دور الأولياء في المجتمع من خلال الدور الديني والأخلاقي، وتكافلهم الاجتماعي، والفضل الثاني تحدثنا فيه على السلطة في المغرب الأوسط بداية بتعريف السلطة وتطور في التاريخ الإسلامي ثم لأهم السلاطين الذين كانوا بالمغرب الأوسط خلال القرنين الـ 7 و 8 هـ، 13 و 14م، التي تتمثل في السلطة الحفصية والسلطة الزيادية، ودور السلاطين في المجتمع من خلال عنايتهم بالعلم والعلماء، وجهودهم لتجاوز الأزمات الإجتماعية، والفصل الثالث تناولنا فيه العلاقة بين الأولياء والسلطة خلال القرنين الـ 7 و 8 هـ و 13 و 14م، بداية بسياسة الاحتواء والحذر التي كانت بين الولي والسلطان التي يندرج تحتها، احتواء السلطان للولي ثم إنقباض الولي عن السلطان ورفضه للمناصب والخطط والأموال، ثم تطرقنا بعد ذلك إلى إسهامات الأولياء في الحياة السياسية تناولنا فيه عوامل تجنب الصدام بين الولي والسلطان، دور الأولياء في الأزمات السياسية.

اعتمدنا هي دراستنا على المنهج التاريخي في ما يختص بتبع الأولياء والسلاطين الذين ذكرتهم المصادر التاريخية، في القرن الـ 7 و 8 للمجريين والـ 13 و 14 ميلاديين، وأرفقناه بالمنهج الوصفي الذي اعتمدناه في وصف حالة الولي من حيث السلوك التفشي والاعتقاد بهم من طرف العامة وسلاطين المغرب الأوسط . ولقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على العديد من المصادر المتنوعة في طبيعتها من بينها كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات (ت 627 هـ 1229 م)، فهو من أهم كتب المناقب في هذه الفترة وبالتالي يعتبر المصدر الأول بجزء كبير في الدراسة من خلال ما ذكره في طريقة عمله في الكتاب، لأنه صوفي أو على الأقل متصل بتيار التصوف مؤمن بكرامات الأولياء وقد ترجم في كتابة لمائتين وسبعة وسبعين صوفيا، كتاب الستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان لمحمد ابن مريم (ت 1025 هـ - 1616م) إستقينا جميع معلومات الدراسة منه المتعلقة بالأولياء بالمغرب الأوسط في ما يخص المأكل والملبس... الخ، وكتاب

عنوان الدرية في من عرف من العلماء في مائة السابعة بيجاية التي زدنا بمعلومات حول العلاقة بين الأولياء والسلطة.

إلى جانب هذه المصادر اعتمدنا على مجموعة من الدراسات والأطروحات الجامعية التي ساعدتنا على تحليل واستنباط ما جاء في المصادر، وكان لها الدور الكبير في توجيه عملنا أهمها، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين لفاطمة الزهراء جدو، الأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين (419-535هـ/1086-1238م) لدكتور بشيرغانيا، تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلالي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14 و13 الميلاديين لطاهر بوناني.

وقد واجهتنا عدة عراقيل وصعوبات أثناء إنجاز هذا العمل من أهمها صعوبة التحكم في موضوعين ودراستهم دراسة متكاملة (الأولياء والسلطة)، وكل موضوع يمكن أن يكون دراسة منفصلة، كذلك صعوبة تحصلنا على بعض الدراسات حول العلاقة بين الأولياء والسلطة بالمغرب الأوسط.

الفصل الأول:

الأولياء ودورهم في مجتمع المغرب الأوسط

خلال القرنين (8،7هـ / 13،14م)

I- تعريف الأولياء ومراتبهم:

1- تعريف الأولياء

أ- لغة:

كلمة ولي على وزن فعيل لها الكثير من المعاني والدلالات، كلما تغير شكلها الولي بفتح فسكون يدل على القرب والدنو، أما الولي بتشديد الياء فهو المطر الذي يأتي بعد المطر والولي له معان كثيرة منها المحب والصديق والنصير¹.

• وإذا تجاوزنا أصل المصطلح " ولي " إلى كلمة ولاية على وزن فعالة بكسر الواو أما الولاية تعني وظيفة أو العمل أو الصنعة أو الخطة فالولاية تعني وظيفة الولي وعلى وزنها أي فعالة بالكسر تأتي العديد من الوظائف منها الخياطة التي تعني مهنة الخياطة والحلاقة تعني مهنة الحليفة والإمارة تعني مهنة الأمير²، أو الولاية بفتح الواو، يستعمل للدلالة على الحالة ومن هنا يرى البعض أن ولاية أكثر ملائمة لتطابقها على المقصود في المفهوم الصوفي³.

• والولاية بفتح الواو هو موضوعنا حيث أن الولاية بالكسرة تعني الإمارة والسلطان بينما الولاية بالفتح تعني القرب والدنو ووصف الحال وفي الأخير نستنتج أن الولاية اسم ذو معنيين بكسر الواو لدلالة على وظيفة وفتح الواو لدلالة على من له حالة الولاية.

ب- اصطلاحا:

تعدد واختلف مفهوم الولاية والولي بين الفقهاء والمتصوفة، بل حتى علماء علم الكلام فكل منهم عرف الولي والولاية حسب توجهه بل حتى هذه الأصناف الثلاثة اختلفت فيما بينها حول التعريف، وكان من أهم تعريفات الفقهاء تعريف الإمام الطحاوي " المؤمنون كلهم أولياء الرحمان وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن"⁴.

¹ - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط1، 1300هـ/1283م، ج15، ص 406. 407، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تح، محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1986م، 307. 308.

² - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح : طاحي عبد الباقي، مطبعة حكومة للكويت، الكويت، ط1، 1422هـ/2001م، ج40، ص241، 242.

³ - محمد حلمي عبد الوهاب، ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة، في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2009م، ص75.

⁴ - صدر الدين علي بن علي بن محمد بن ابي العز الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تح: أحمد محمد شاکر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م، ص234.

من خلال هذا النص نستطيع أن نقول أن كل مؤمن ولي دون استثناء، غير ان الحافظ ابن حجر العسقلاني اقتصرها على المؤمنين المخلصين في طاعة الله وعبادته.

فقال " المراد يولي الله العالم المواظب على طاعته المخلص في عبادته"¹، أما الشوكاني فلخص الولاية من خلال أنها "خلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب نواهيه"²، أما الشيخ البيضاوي وأبو حيان الأندلسي إعتبرا أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة³.

وهذا التعريف أقرب للمتصوفة رغم أنهما لم تكن لهما أي ميولات واضحة اتجاه المتصوفة أما شيخ المنكلمين فخر الدين الرازي، فعرف لنا الولي حيث قال "ولي الله من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالأعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة"⁴.

أما عن الجانب الصوفي فنجد أن القشيري في رسالته ذكر أنه " للولي معنيان، الأول فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله سبحانه قال تعالى " إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين"⁵، والثاني فعيل ومبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته فعبادته تجري على التوالي من غير ان يتخللها عصيان، وكلا الوصفيين واجب حتى يكون الولي وليا يجب قيامه بحقوق الله على الاستقصاء، والاستقاء ودوام حفظ الله إياه في السراء والضراء"⁶.

كما نجد عند الجرجاني في كتابه التعريفات تعريفا صوفيا بأن الولي " هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات المتجنب عن المعاصي المغرض عن الانهماك في اللذات والشهوات"⁷ أما عن

¹ - الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ط1، د، ت، ج 11 ص 342.

² - محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، تح: عبد الرحمان عميرة، دار الوفا، د ط، 1415هـ/1994م، ج2، ص 640.

³ - ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن عبد الله الشرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، تح: محمد صبحي بن حسن الحلاق ومحمود أحمد الأطرش، دار الفكر، بيروت، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، دمشق بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج2، ص108. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، البحر المحيظ، تح: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1314هـ/1993م، ج5، ص173.

⁴ - محمد فخر الدين بن ضياء الين فخر الرازي، تقسيم الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح العنب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م، ج17 ص 132.

⁵ - الأعراف، الآية 196.

⁶ - الإمام أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشيرية، تح: عبد الحلیم محمود ومحمود بن شريف، مطالع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، دط، 1409هـ، 1989م، 260259.

⁷ - علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1985م، ص275.

تعريف الولاية فقال " هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه ¹. وما نلاحظ من خلال تعريفات الصوفية للولي أو الولاية اقتصرها على فئة محددة جدا من عباد الله شملتهم العناية الإلهية.

غير أننا وجدنا من حاول أن يوسع المفهوم لاكثر من مضمون الذي تطرحه النظرة الصوفية فابن تيمية المحسوب على فئة الفقهاء الذين لم يكونوا على وفاق مع الصوفية قال: "وأولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمي أحدهم فقيرا أو صوفيا أو فقيرا أو عالما أو تاجرا إلى غير ذلك ².

هذا النص يوسع مفهوم الولي لأصناف متعددة من المجتمع الإسلامي، حتى أن أحد الدارسين، اعتبر تعريف ابن تيمية كأنه بالذهنية الإسلامية تجنح إلى تخلص المفهوم من احتكار فئة الصوفية له ³. وهذا ما وقفنا عليه سابقا في تعريفات الفقهاء للولي أو الولاية حيث أنها توسعه إلى كل مؤمن دون تفریق، غير أن مفهوم الولاية عند الصوفية وغيرهم يتفقون في دلالة المفهوم على القرب من الله.

2- مراتب الأولياء:

"حدد الصوفية نضاما تراتبيا ينبنى عليه مجتمعهم الولائي، فعينوا رتبا بتدرج فيه الأولياء وأول من حدد هذه المراتب الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي (638هـ-1240) في الباب الثالث والسبعين من كتابه الفتوحات المكية، وقد شرحها وأطال في شرحها قد عددها الشيخ الأكبر في سنة طبقات حين قال: "والمجتمع عليه من أهل الطريق انهم أي الأولياء على ستة طبقات أمهات أقطاب وائمة، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء ⁴.

أ- القطب: (الغوث)

تجمع أغلب المصادر الصوفية على تعريف الولي بأنه "هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرائيل عليه السلام ⁵ ولا ينال هذه المرتبة إلا من علم معاني الحروف المقطعة في اول السور وفي هذا قال الشعراني نقلا عن ابن عربي "لا يتمكن القطب أن يقوم في القطبانية إلا

¹ - علي بن محمد الشريف الجرجاني، مرجع سابق، ص275.

² - تقي الدين بن تيمية الحرالي، "مجموع فتاوي ابن تيمية" مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط د، 1425هـ/2004م، مج11، ص275.

³ - البشير غانيا، الأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين (479-635هـ/1086-1238) أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، اشراف الدكتور محمد الامين بلغيث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1436-1437هـ/2015-2016م، ص94.

⁴ - محي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، تح: عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1405هـ/1985م، ص64.

⁵ - ابن عربي: "التعريفات الشيخ الأكبر، تح: رفيق العجم، ضمن مجلة الابحاث الأمريكية، العدد36، بيروت، د ط، 1988، ص13.

- عبد الرزاق الكشاني، معجم الاصطلاحات الصوفية، تح: عبد العال الشاهي، دار المنارة، القاهرة، ط1، 1413هـ/1992م، ص162.

بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل ألم، ألمص ونحوها، وإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها وتعينت له الخلافة وكان أهلا لها¹، كما أن الشيخ الأكبر ابن عربي اعتبر "الأقطاب وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالاصالة أو بالنيابة"، ورجال الله قد يتوسعون في هذا الإطلاق فيسمون قطبا كل من دار عليه مقام ما من المقامات، وإن فردبه في زمان على أبناء جنسه، ولا يكون منهم في الزمن إلا واحد، وهو سيد الجماعة في زمانه" ومن خلال هذا النص نستكشف أن القطب هو في نظر ابن عربي نفسه الغوث، وهذا ما ذهب إليه المناوي أيضا حين قال "القطب وقد يسمى غوثا باعتباره التجاء الملهوث إليه عبارة عن واحد الذي هو موضوع النظر الله تعالى في كل زمان² .

ب- الأئمة:

وهما اثنان لا ثالث لهما، وهما بمنزلة الوزيرين للقطب الأول منهما عبد الرب، وهو مقصور على مشاهدة عالم الملكوت أي العالم الروحاني، أما الآخر عبد الملك، وهو مقصور على عالم الملك أي العالم المادي، وهذا الأخيرة اعلى مرتبة من صاحبة وهو الذي يخلف القطب إذا مات³ .

ج- الأوتاد:

وهم أربعة رجال في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة، وقيل أيضا ان عددهم أربعون وقد يكون منهم النساء، ولم نسجل حضورا لولايات بالمغرب إحرب في هذه المرتبة غير عائشة المنوية، التي قالت على نفسها أنا من الأربعة من ركائز الأرض⁴ .

¹ - عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراي، البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د ط، د ت. ج 2، ص146.

² - محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، 1410هـ/1989م، ص586، رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامية، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ط1، 1999 م، ص694.

³ - الجرجاني، مصدر سابق، ص36.

⁴ - البشير غانبا، مرجع سابق، ص112.

د- الأبدال:

وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الاقاليم السبعة¹ وقيل أنهم سبعون، اربعون بالشام وثلاثون بغيرهم²، وهم الذين يفنون عن ارادتهم وتبدل بالإرادة الله عز وجل، وسمو بذلك بأنهم بدلوا خلقا بعد خلقا وصفوا تصفية³ ومن أشهر أصحاب هذه المرتبة أبا مدين شعيب الذي تقطب فيها بعد حين وصفه ابن مريم قائلا "كان يرحمه الله .صدرا من صدور الأولياء والأبدال"⁴.

هـ- النقباء:

عرف ابن عربي في كتابة الفتوحات المكية أن النقباء "وهم اثنا عشر نقيبا في كل زمان ولا يزيدون ولا ينقصون على عدد بروج الفلك الاثني عشر برجا كل نقيب عالم بخاصية برج وبما أودع الله في مقامه من الأسرار والتأثيرات، وما يعطي للنزلاء فيه من الكواكب السيارة والتوابت" غير أن ابن عربي في كتابه التعريف ذكر أن عدد النقباء وهم ثلاث مئة غير أن أحمد النقشبندي الخالدي تفرد بعد ذكر النقباء إلى اثني عشرة نقيبا، أما عن عملهم وكراماتهم قال ابن عربي "وأعلم أن الله قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها ومعرفة مكرها وخداعها والنقباء أعلى مرتبة من النجباء لأنهم المطلعون على أحوالهم وأسرار النجوم والكرسي والعرش"⁵.

و- النجباء:

ذهب أغلب الصوفية القدماء والمحدثين إلى أن عدد النجباء ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون⁶ غير أن ابن عربي ذكر في كتابه التعريفات أن النجباء "هو أربعون وهو مشغولون بحمل أثقال الخلف، فلا يتصرفون إلا في حق الغير"⁷.

¹ - ابن عربي، الفتوحات المكية، ص278.

- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1401هـ/ 1981م، ص190.

² - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ/ 2005م، ص965.

³ - عبد الرؤوف الكشاني، شرح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين الأرباب الأذواق والأحوال، تح: عاصم إبراهيم الكياني، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2005، ص201-204، رقيق العجم، مصدر سابق، ص02.

⁴ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مطبعة التعاليمية، للجزائر، ط1، 1226هـ، 1908م، ص108.

⁵ - البشير غانية، مرجع سابق، ص113.

⁶ - ابن عربي، الفتوحات المكية، ص282-283. يوسف إسماعيل النهاني، جامع كرامات الأولياء، تح: إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل السنة بركات رضا قوريندر، الهند، ط1، 1322هـ-2001م، ج1، ص70.

⁷ - ابن عربي، التعريفات، ص13.

يبدوا أن الكاشاني نقل ما ذكره ابن عربي حيث قال: النجباء: "هم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس، وحمل أثقالهم المتصرفون في حقوق الخلق لا غير"¹.

غير أن الكمشخانوي شد في عددهم حيث قال: "هم سبعون، مشغولون بحمل أثقال الخلق، فلا ينتظرون إلا في الحق، ولهم ثمانية أعمال أربعة باطنة، وأربعة ظاهرة، فأما الظاهرة فهي الفتوة والتواضع والأدب وكثرة العبادة، وأما الباطنة فالسفر والشكر والحياء، وهم أهل المكارم والأخلاق والعرفات"².

وأهم ما استوقفنا في تعريفات النجباء هو التعريف المختصر الجامع للنبهاني الذي قال فيه: "النجباء وهم ثمانية في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون وهم الذين تبدوا منهم وعليهم أعلام القبول من أحوالهم، وإن لم يكن في ذلك اختيار، لكن الحال يغلب عليهم، ولا يعرف ذلك منهم إلا من هو فوقهم لا من هو دونهم"³ وفي الأخير يمكننا القول أنه رغم اختلاف المتصوفة في بعض الطبقات وفي عدد أفرادها ورغم تحاشي وعدم خوض بعضهم في هذا الأمر إلا أنه بفضل هذا التصنيف التراتبي الطبقي صار للأولياء نظاما تراتبيا، محافظا على ديمومته بفضل توارث الأولياء لمراتب بعضهم والرقى في السلم الولائي بفضل أعمالهم ومجاهداتهم وأحوالهم، نحو الرتبة العلية وهي القطبية أو الغوثية، وما تجدر إليه الملاحظات كذلك أن المرأة المغاربية اشتركت مع الرجل في جميع المراتب الولائية حتى القطبية.

وما تجدر إليه الملاحظة أن مصادر فترتنا المدروسة كان فيها ذكر المراتب الولائية محتشما جدا سواء القطبية أو غيرها، وهذا ما خلص إليه كذلك الباحث في التصوف الدكتور طاهر بوباني⁴ بل حتى كتب المناقب يكاد ينعدم فيها ذكر هذه المراتب أو توصيف الأولياء بها منعدما، وكان هذا التحاشي وعدم الخوض فيها متعمدا.

¹ الكاشاني، مصدر سابق، ص114.

² أحمد بن مصطفى ضياء الدين الكمشخانوي النقشبندي، جامع الاصول من الأولياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق، مطبعة الوهبية، مصر، دط، 1298 م 1881 م، ص3.

³ النبھاني، مصدر سابق، ص70.

⁴ طاهر بوناني، مرجع سابق، ص201.

II- الحياة اليومية للأولياء:

تحلّت شريحة الصوفيّة بخصائص ميّزتها عن باقي الشرائح الاجتماعيّة الأخرى، من حيث نقشفتها في المأكّل والملبس والمسكن، وبالوضعيّة الاجتماعيّة البسيطة، وامتثالها لمختلف الحرف والمهن دون عقدة أو تكبر معتمدين على أنفسهم في كسب قوتهم اليومي داخل مجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين / 13-14 الميلاديين.

1- مآكلهم:

اتبّع صوفيّة المغرب الأوسط المنهج النبوي في مآكلهم ومشربهم ومسكنهم، وفي كبح جماح نفوسهم إزاء مغريات الدّنيا وزينتها، فقد كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالصبر على المكاره وارتداء الخشن من الثياب¹، لذا حملت إلينا الروايات وكتب التراجم والمناقب وصفا دقيق لمآكلهم وملبسهم ومسكنهم، وأجمعت في كلّ الحالات على بساطتها وتواضعها، بحيث كان صوفيّة تلمسان خلال القرنين (7-8هـ/13-14م) مقتصدين في معيشتهم زاهدين في الدّنيا مقتصرين على القوت البسيط والزّاد القليل من نخالة وشعير وغيرها، فقد كان عبد السلام التّونسي يفتات الشعير، وإذا اشتهدت نفسه اللحم يقوم باصطياد السّلاحف البريّة يأكلها²، بينما اقتصر تلميذه زكريا بن يوغان (ت 537هـ/1140م) على لبن ناقته³. كما كانا كلّ من أبي إسحاق بن إبراهيم بن بسول الإشبيلي وأبي عبد الله بن البلد يفتاتان الشعير⁴، وكان أبو البيان واضح (عاش في القرن السابع الهجري) قاهرا لأحواله لا يفطر إلّا على رأس أربعين يوما بقليل من الخبز وحبّ الجودر⁵، وكذلك كان أبو عبد الله بين الملك يفتات من الشعير والشحم⁶، ومثله أبو الفضل بن النّحوي (ت 513هـ/1119م) يواظب على الصّيام، ويأكل القليل من الطّعام حتّى اصفرّ وجهه ورقّت ساقاه⁷.

¹ - طاهر بوناني، الصّوف في الجزائر خلال القرنين (7،6 هجريين) (13،12 ميلاديين)، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د ط، 2004م، ص 161.

² - أبو يعقوب يوسف بن يحيى ابن الرّيات التادلي، التّصوّف إلى رجال التّصوّف وأخبار أبي العباس السّبي، مطبعة التّجّاح الجديدة، الدّار البيضاء، ط2، 1997م، ص 93. يحيى ابن خلدون، بغية الرّواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنيّة، الجزائر، د ط، 1980م، ج1، ص 125. ابن مريم، مصدر سابق، ص 122.

³ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 102.

⁴ - يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 119.

⁵ - أبو القاسم محمّد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، المؤسسة الفنّون المطبعية، الجزائر، د ط، 1991م، ج2، ص 452.

⁶ - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 162.

⁷ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 78. ابن مريم، مصدر سابق، ص 303.

أما أبو إسحاق إبراهيم التَّنَسِّي فقد كان يقتصر على بعض طعام يأتي من بعض الصّالحين المقيمين في الونشريس، وكان أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق يكثر من الصّوم ويتقشّف في مأكله ويقتصر على قوت لا يكاد يحفظ بنيته، إذ كان يفطر على قشرة من الخبز وبيضة واحدة رغم ما لديه من الخيرات والثمرات، رغم أنّ أكثرهم كانوا ميسوري الحال إلاّ أنّهم كانوا يفضلون أكل الشّعير بالشحم والأدام¹، وقد أطلعنا الغبريني على بعض صوفيّة بجاية الذين كانوا مثل نظرائهم التلمسانيين يقتصدون في المأكل والملبس، ومن بينهم يحيى الزّواوي الذي كان يعيش على البقول المباحة، وإذا اشتهى اللحم يصطاد السمك من البحر² ووصف أبو الحسن عبيد الله التّفزي بأنّه كان على أخلاق السلف الصّالح في المأكل والمشرب والملبس³، وعن أبي النّجم الهلال بن يونس وأبي الحسن علي الملباني المعروف بابن أساطير بأنّهما كانا متعقّفين مقتديين⁴ وكلّ هذه القرائن تعكس مقاومة الصّوفيّة لشهوات البطن، وكبح جماح النّفس وتعذيبها في الدّنيا.

2- ملبسهم:

كما اعتادوا على لبس الصّوف وفضّلوه على غيره من أنواع اللباس باعتباره رمزا للتّقشّف وهجرا الحياة الدّنيا والرّهد فيها، حيث تبقى جبة الصّوف الواحدة على ظهر صاحبها عدّة سنوات⁵، ومن الأمثلة على ذلك أنّ عبد السّلام التّونسي كان يرتدي في تلمسان كساء خشنا من الصّوف⁶، وكذلك تلميذته آمنه بنت يغروسن التي كانت تلبس خمارا وجبة من الصّوف⁷، كما كان أبو عبد الله بن الملك يرتدي جبة من الصّوف تظللّ عليه لسنين، وكلّما تصدّق عليه صاحبه أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق بكسوة كلّ سنة من القطن الخشن يقول له: "أنظر لي أخشن منها"، وكان أبو إسحاق إبراهيم التَّنَسِّي يلبس المرقعة بين

¹ - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 162.

² - أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد عبد الله، عنوان الدّارية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة بجاية، تح: عادل نويهيض، منشورات دار الآفاق الجديدة،

بيروت، ط2، 1979م، ص 136.

³ - مصدر نفسه، ص 177.

⁴ - مصدر نفسه، ص 169-199.

⁵ - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 163.

⁶ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 88. ابن مريم، مصدر سابق، ص 122.

⁷ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 90.

ثيابه، وهي عبارة عن جبّة صوف سوداء اللّون، مبطّنة بخرقة سوداء محشوّة بالقطن، مرقّعة، يضع فوقها برنسا أخضر اللّون أو أسود -الغفارة- ويتعمّم بعمامة أهل إفريقيا¹.

وفي قلعة بني حمّاد ارتدى أيضا أبو الفضل بن التّحوي لباسا خشنا من الصّوف قصّره إلى حدّ ركبته²، كما ارتدى بعض صوفيّة بجاية لباسا من الصّوف يعرف بالطّيلسان من بينهم الصّوّفيّ أبي زكريا يحيى الزّواوي، والصّوّفيّ أبو الحسن علي الحرالي³، وتميّز أبو عبد الله محمّد بن القاسم السّجلماسي بارتدائه وزره في وسطه وشملة في كتفيه على هيئته المحرم⁴، كما نقل إلينا المقرّي ارتداء أتباع ابن السبعين في بجاية عباءات من الصّوف عرفت بالدّفافيس⁵، وارتداء أبي علي عمر بن عبد المحسن الوجهاني قميصا وعمامة ومئزرا.

ويحمل على يده عكّاكزا وركوة⁶، وكان أبو العباس أحمد الخراز يرتدي المرقّعة في بجاية⁷، ولبس البعض أثوابا بالية مرقّعة على هيئة المتسوّلين كأبي علي عمر الحباك⁸، والبعض الآخر كان يلبس جبّة من تليس وبرنسا مرقّعا ويرتدي شاشيّة من سعف⁹، لكنّ هناك من الصّوفيّة من لم يتقيّد بلباس الصّوف والمرقّعة مثل أبي مدين شعيب في بجاية، إذ كان يتجمل بأحسن الثّياب، حتّى شبّهت حالته بحالة الملوك¹⁰، لأنّه كان يرى أنّ التّوصل إلى كشف الحقائق الإلهيّة لا يتمّ بلباس الصّوف والمرقّعة والخرقة، وإنّما بالزّهد والعلم والتّوكّل واليقين¹¹، وهو بذلك يصدق فيه قول أبي عبد الله محمّد بن أبي الطّوي في قوله: (البيسط)

ليس التّصوّف لبس الصّوف ترقّعه ولا بكاؤك إن غنى المغنون

ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا

بل التّصوّف أن تصفوا بلا كدر وتتبع الحقّ والقرآن والدّنيا¹²

¹ - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 163.

² - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 78.

³ - الغبريني، مصدر سابق، ص 137-149.

⁴ - مصدر نفسه، ص 132.

⁵ - أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني، نفخ الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرهما لسان الدّين بن الخطيب، تح: احسان عبّاس، دار صادر، بيروت، د ط، 1448هـ/1988م، ج2، ص197.

⁶ - الحفناوي، مصدر سابق، ص 121.

⁷ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 385.

⁸ - يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 108.

⁹ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 195-318.

¹⁰ - أبو العباس أحمد الخطيب ابن القنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعزّ الحفير، تح: محمّد الفاسي، وأودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلبية الأداب، الرباط، د ط، 1995م، ص 94.

¹¹ - الغبريني، مصدر سابق، ص 63.

¹² - عماد الدّين محمّد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمّد المروني وآخرون، الدّار التونسيّة للنشر، د ط، 1966م، ج1، ص172.

وكذلك كان أبو عبد الله بن عبد الحق اليعفري جميل المنظر وائق الملبس على حدّ تعبير يحي بن خلدون¹، كما تأثر بهذه النظرة أيضا في القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق الذي كان يلبس أحسن الثياب ويفضّل اللون الأبيض في فصل الصيف، ويرتدي الملابس التونسية والأحارم، ولا يتعمّم حتّى قال عنه الفقهاء أنّهم لم يروا أحسن منه صورة، ولا أجمل منه هيئة، ولا أطيب منه رائحة، وقد تبعه في ذلك أهله من متصوّفة المرازقة الذين كانوا يتمتّعون بالمال والجاه ويلبسون أحسن الثياب².

لكنّ ظاهرة أنّ ثورة إخراج التّصوّف من دائرة المرقّعة والخرقّة التي بدأها أبو مدين شعيب في النّصف الثاني من القرن السادس الهجري وتأثر بها أبو الحسن الشّاذلي، وواصلها ابن مرزوق في النّصف الثاني من القرن السابع الهجري، قد بقيت محصورة على مستوى كبار الصّوفيّة الذين تعمّقوا في التّصوّف ونظرياته، بينما بقي السّواد الأعظم من صوفيّة المغرب الأوسط على تيّاراتهم، يرتدون الخرقّة وجبّة الصّوف³، وهكذا ظلّ لباس الصّوف المتواضع رمزا لاندماج الفرد في فلك الصّوفيّة⁴.

3- مسكنهم:

وبخصوص المساكن التي يأوي إليها الصّوفيّة، لم يتميّزوا بنوع معيّن، فأغلب صوفيّة المجاهدات كانوا يقيمون في الجبال وأماكن الخلاء والأماكن البعيدة عن بهرج المدينة وزينتها وإغراءاتها، مثل جبل آسيون في بجاية أصبح مقرّ إقامتهم، وكان أبو زكريا يحي الزّواوي ينزوي في جبل رجراجة خارج بجاية⁵، وعلى نفس النّهج كان أبو البيان واضح يمكث في جبل أفرشان⁶، القريبة من معسكر⁷، وكان رجال التّصوّف يقيمون في منازل عادية داخل المدن مثل أبي مدين شعيب، وأبي محمّد بن عبد الحقّ الإشبيلي وأبي الحسن علي المسيلي وأبي محمّد عبد الحقّ بن الرّبيع في بجاية⁸.

¹ - يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 112.

² - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 164.

³ - نفس المرجع، ص 165.

⁴ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 107-449.

⁵ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 447.

⁶ - محمّد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ التّنسي، نظم الدّرو العقبان في بيان شرف بني زيّان، تح: محمود بوعباد، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، د ط، 1985م، ص 128.

⁷ - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 165.

⁸ - الغزبيني، مصدر سابق، ص 55-66-73-85.

وكذلك حمل إلينا يحيى ابن خلدون قرائن عن الصوفيّة كانوا يقيمون داخل مدينة تلمسان مثل أبي عبد الله بن الحجاج وأبي العيش محمد الخزرجي وأبي عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق وأبي إسحاق إبراهيم بن عالي الخياط¹، فضلا عن إقامة بعضهم الرّباطات مثل رابطة ابن الرّيات، ورابطة ابن بيكي في بجاية². ولا غرابة أن نجد بعضهم يقيمون في الفنادق كما هو الشأن بالنسبة لأبي العباس أحمد الخزاز، ابن الخميس التلمساني (708هـ/1309م) وهي إقامة متواضعة تعكسها الغرفة التي كانت مخصّصة للخزاز، إذ كان ينام يحرّز فيها³، كما كان فراش ابن الخميس من سلائخ الضّان⁴. ومجمل القول أنّ محل إقامة المتصوّفة تميّز بالتّقشّف والتّواضع والبساطة.

4- مهنهم:

يغلب على صوفيّة المغرب الأوسط خلال القرنين السّابع والثّامن الهجريين و13-14 الميلاديين، طابع النّشاط والكّد والاعتماد على النفس من خلال مزاولتهم لأنواع مختلفة من الحرف والمهن لكسب قوتهم اليومي، لأنّ الاشتغال في صلاح القوت كما يقول ابن القنفذ: "من الدّين كالرأس من الجسد"⁵، حيث احترّف أبي مدين شعيب رعي الغنم⁶. وكان أبو زكريا بن يوغان يرعى الإبل⁷، واشتغل بالفلاحة كلّ من أبي النّجم هلال بن يونس الغبريني (القرن 7هـ)⁸، وأبي سليمان داوود الوجهاني (القرن 7هـ)⁹، وأبي عبد الله المشاري، وابن أخيه أبي محمد بن عبد الواد، فقد كانت لهما أرض ببني مستار يعيشان منها¹⁰. كما احترّف آخرون التّجارة من مزاولة أبي عبد الله الشّريف (ت في التّصف الثّاني من القرن 7 هجري) بتجارة الصّوف¹¹، واقتصار أبي عبد الله الحلوي على بيع الحلوى لصبيان في طرقات تلمسان¹².

¹ - يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 102-104-115.

² - الغبريني، مصدر سابق، ص 188.

³ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 385.

⁴ - يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 109.

⁵ - ابن القنفذ القسنطيني، مصدر سابق، ص 109.

⁶ - مصدر نفسه، ص 11.

⁷ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 102. يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 100.

⁸ - الغبريني، مصدر سابق، ص 169.

⁹ - مصدر نفسه، ص 225.

¹⁰ - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 171.

¹¹ - الغبريني، مصدر سابق، ص 177.

¹² - يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 128.

وكان أبي إسحاق إبراهيم بن يسول يحتطب العزف من الجبل ويصنع منه حصر الصلاة، ثم يبيعها ويقتات منها¹.

كما مارس أبو عبد الله بن البلد (القرن 7هـ)²، وأبو عبد الله بن الملك حرفة استنساخ الكتب³، ناهيك عن احتراف أبي علي عمر الحباك مهنة الرّيل⁴، بينما كان لأبي إسحاق إبراهيم الخياط (القرن 7هـ)⁵ حانوت بتلمسان، يجلس فيه للخياطة، فضلا على استثمار أبي إسحاق إبراهيم التنسي أمواله في التجارة، وكذلك كان بنو مرزوق أهل دين وتصوّف يحترفون العلم والتجارة في دكاكين لهم بالقيصريّة ودرب مرسى الطلبة بتلمسان، وفلاحة الأرض بالعباد، وأبرزهم أبو عبد الله بن أبي بكر مرزوق⁶.

5- حياتهم الأسرية:

رغم منهج الأولياء التقشفي والزّهدي، إلا أنّ هذا المنهج لم يبعدهم عن الزواج وإنجاب الأولاد، متمسكين بحقهم الشرعي، ومبتعدين على الرّهينة المسيحية التي حاول البعض أن يسقطها دائما على الأولياء⁷، ومن هؤلاء الأولياء الغوث أبو مدين شعيب الذي بشر من قبل أبي يعزى بأن تهدي إليه جارية حبشية، ويرزق منها ولدا، وهو ما حصل، إذ رزق منها بولد سماه محمد⁸، بل إنّ الأولياء تدخلوا بكرامتهم في زيادة البنين وخاصة الذكور، فهذا الولي أبو يوسف الدهماني جاءه مريد يشكو له عدم إنجاب الذكور رغم أنّه له أربع بنات، فبشّر الولي بأنّه "سيولد لك ولد، ثمّ ثاني وسكت ساعة ثمّ قال وثالث"، فولد له حسن ومحمد، وبعد ذلك ولد له ولد عاش أيّاما ثمّ مات⁹.

¹ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 288.

² - يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 119.

³ - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 171.

⁴ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 102.

⁵ - مصدر نفسه، ص 453.

⁶ - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 171.

⁷ - البشير غانيا، مرجع سابق، ص 171.

⁸ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 328.

⁹ - أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الدّباغ، معلم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1426هـ/ 2006م، ج3، ص 213.

كما أنّ الأولياء كانوا يرون أنّ الزواج مذهب للفقير، حيث أنّ أبا العباس السبتي أتاه شخص يشكو الفقر فأمره أن يتزوج ثانية، فزاد فقره، ثمّ أمره بزوجة ثالثة فساء حاله، فأشار إليه بالرابعة فحسن حاله وأعتنى رغم أنّ زوجاته الأربعة فقيرات¹.

غير أنّ هناك القلّة من اعتبر "النساء أضّرّ شيء على الرجل، فإنّهنّ حبايل الشيطان، فالسلامة في الابتعاد عنهن"²، ومن الأولياء من لم يتزوج طيلة حياته كأبي زكريا يحيى بن محمّد الجراوي³، أبو محمّد عبد السلام بن أبي عبد الله محمّد بن أمغار⁴، وهكذا أثّرت قلّة من الأولياء حياة العزوبية، وما يجب أن ننوّه إليه ربّما كانوا مجبرين أمام العوز وعدم الاستطاعة على الزواج والتّفقة، أو ربّما كانوا يريدون الحلوة والسكينة للعبادة، والمهمّ هنا أنّه لم يمنعهم من الزواج النّظرة السلبية للمرأة على أنّها منبع الشّرّ بل إنّ الطّروف هي من جعلتهم لا يتزوجون، ولقد اهتمّ الأولياء بالتّفقة على زوجاتهم وأبنائهم، فهذا أحد الأولياء كان ينفق على زوجته وأبنائه من أجرته التي يأخذها مقابل تعليمه للصبيان، إضافة إلى عائدات بيعه للفلانيس التي كان يصنعها⁵، وكذلك الأولياء تحمّلوا مسؤولياتهم تجاه أبنائهم بعد وفاة زوجاتهم، ولنا مثال في أبي عمران المسكوري الذي تحمّل مسؤوليّة ابنه بعد وفاة زوجته بأن أرضعه من ثديه وهي كرامة من كرامته⁶.

6- قبورهم وجنائزهم:

كان المتصوّفة يفضلون الوفاة يوم الجمعة، وكانوا يدعون المولى عزّ وجلّ بتحقيق ذلك⁷، كما كانوا يتنبّؤون بدنوّ وقت وفاتهم⁸، وحرصوا في هذه الفترة على ترك وصايا قبل وفاتهم تخصّ جنائزهم وقبورهم، إذ أوصى أحدهم بشراء كفن وقلة وقدح قبل وفاته⁹، وقد أوصى أبو الحسن علي بن محمّد الزّواوي بقوله: " لا عليكم مهما أصابكم من أمر أو عارض فأتوا إلى قبوري واذكروا شكواكم واسألوا الله أن يفرّج عليكم"¹⁰.

¹ - البشير غانيا، مرجع سابق، ص 171.

² - عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب لمشاهير أوياء المغرب، دار الأمان، الزباط، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط4، 1424هـ/2003م، ص 50.

³ - ابن الرّيّات، مصدر سابق، ص 135-136.

⁴ - مصدر نفسه، ص 233.

⁵ - طاهر الصّدقي، السّر المصون فيما أكرم به المخلصون، تح: حليلة فرحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ص 76.

⁶ - ابن الرّيّات، مصدر سابق، ص 344.

⁷ - زينب ملياني، التّصوّف الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة الجزائر، 2006-2007م /1427-1428هـ، ص 137-138.

⁸ - الغبريني، مصدر سابق، ص 155.

⁹ - مصدر نفسه، ص 157.

¹⁰ - زينب ملياني، مرجع سابق، ص 144.

والظاهرة التي ميّزتهم قبل الوفاة هي الاغتسال والوضوء والصلاة، وكانوا في بعض الأحيان يتزيّنون قبل الوفاة، وفكرة الاغتسال والوضوء وشرب ماء زمزم، وتطهير الكفن به، والتطيّب تدلّ على مدى حرصهم على الطّهارة، والتقرّب من الله، وأراد بذلك الموت على طهارة الظاهر بالماء والباطن بالدعاء والصلاة¹.
 أما بالنسبة لقبورهم فقد حرص بعضهم على حفرها بنفسه قبل وفاته، أو بتوصية أحد من أهله أو أصحابه²، وكانوا يحدّدون أماكن دفنهم ويختارونها بأنفسهم، وتمثّل بالزبط بجوار قبور أصدقائهم وبالمساجد، وحملت الأماكن التي دفنوا فيها أسمائهم في كثير من الأحيان كرابطة التّونسي التي حملت اسم أبي محمّد عبد السلام التّونسي الذي دفن بالعباد، كما حمل المكان الذي دفنت فيه الللا المتويّبة اسمها فعرف بالمتويّبة³، ودفن بعضهم عند أبواب المدن كأبي عبد الله الشّوّذي الحلوي الذي دفن في شمال تلمسان وحمل مدخلها الشّمالي اسمه فأصبح يعرف باسم "باب الحلوي"⁴.

¹ - مرجع نفسه، ص 145.

² - الغبريني، مصدر سابق، ص 155.

³ - ربيعة شكيمة وآخرون، التّصوّف في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي (515-668هـ/1221-1269م) مدكّرة مكتملة لنيل شهادة اللّيسانس في التاريخ، قسم التاريخ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بالوادي، 1433-1434هـ/2011-2012م، ص 40.

⁴ - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 175.

II- دور الأولياء في مجتمع المغرب الأوسط:

1- الدور الديني والأخلاقي:

لقد تكرر في كتب المناقب ذكر الروايات، التي قدم فيها الولي نفسه كقدوة ومثل حسن المجتمع، فكانت التربية الدينية حاضرة في جميع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، بل اعتبروا وظيفتهم الأساسية هي ترسيخ الإسلام في أموره، وقد اهتموا بكل جزئيات التربية الدينية وخاصة بالفرائض كالصلاة والصوم والزكاة والحج¹. وكان رجال التصوف ينشرون التعاليم الإسلامية سواء باسمهمهم في تحفيظ القرآن الكريم وقراءته جماعياً، أو عن طريق الإسهام في نشر الثقافة العامة الشفهية عند غير القارئ عن طريق مجالس الذكر الجماعي أو عن طريق نشيد المساجد بالبوادي²، كما عمل الأولياء على تشجيع الناس بالرحلة إلى الحج³. ودور الولي في مجتمع المغرب الأوسط امتد إلى تثبيت جملة من الأخلاق الدينية ذات البعد الاجتماعي.

ساهم أولياء بجاية في مكافحة رذيلة العارة والزنا وشرب الخمر والسرقعة والفساد الأخلاقي، فقد كان الصوفي أبو عبد الله بن الحجام يقوم بتجهيز البنات الفقيرات الضعيفات لزواج حتى لا يقعن في المفسدة، وله في الوعظ كتاب سماه "حجة المحافظين ومحبة الواعظين"⁴، فقد جاءت امرأة تشكي إلى الصوفي الحرالي إدمان ابنها على شرب الخمر فأخبرها أن تطلب منه الشرب بالكؤوس الكبيرة بدل الصغار، فلما سئل الحرالي عن ذلك قال "جرى القدر بمقادير يشربها من الخمر، ولا بد من نفوذ ماجرى به القدر، فإذا شربها بالكؤوس الصغار طالت المدة، وإن شربها بالكؤوس الكبار قصرت مدتها، ولم يمضي من المدة إلا مقدار يسير حتى تاب الشاب وتوقف عن الشرب، وفي رواية أخرى عن الشيخ الحسن الحرالي أنه كان يوماً يسير إلى باب البحر ومعه بعض أصحابه، وإذا بشخص يتمايل سكرًا فألقى يده في الشيخ، وقال له، ادفع لي ما أتم به هذه السكرة فانتهره الناس فلم يكن للشيخ سوى سروال فأعطاه إياه وسار الفقيه إلى المسجد وبعد ساعة فإذا بالرجل قد وصل تائبًا مُنيبًا⁵"

¹ - البشير غانبا، مرجع سابق، ص216.

² - بو داود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط بين القرنين 7-9هـ/13-15م، دراسة في تاريخ السوسيو الثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، دط، 2003م، ص259.

³ - البشير غانبا، مرجع سابق، ص221.

⁴ - يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص102، الطاهر بوناني، ص191.

⁵ - الغريبي، مصدر سابق، ص150.

كانت الآفات الإجتماعية قليلة الحدوث في المغرب الإسلامي قبل القرن 6 هـ-9م، لكن بتطور المدن ظهرت هذه الآفات بشكل بارز في بجاية وتلمسان لأن أهل المدن كما يقول ابن خلدون "أبصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة بدواعيه حتى بين الأقارب والأرحام والمحارم¹" وصار الناس يتبعون شهواتهم، وهي الملذات الدنيوية، وهذا ما أدى إلى ظهور التصوف كتنقيض يسعى إلى العفة والزهد في شهوات البطن والإرتقاء بالإنسان من الخطايا والمعاصي إلى الأخلاق الفاضلة²، ومما يؤكد أن التصوف جاء كرد فعل على الآفات الإجتماعية كونه ظهر وتطور في نفس المدن التي تتواجد بها هذه الآفات³.

عمل الأولياء على ترسيخ الدين كعقيدة و اخلاق اجتماعية وممارسة، انطلاقا من ممارساتهم السلوكية التي كانت تهدف الى تقويم الافراد والمجتمع دينيا و اخلاقيا .

اما عن ممارساتهم السلوكية وسيرتهم داخل المجتمع، قدم الولي نفسه كقدوة ونموذج في المجتمع للفرد الصالح المتدين المتورع والمتخلق، وكتب المناقب وغيرها على حد سواء مليئة بذكر مثل هذه الخصال الحميدة وزادت عنها، ولعل وصف التميمي في اخلاق صاحب القطب ابي مدين شعيب، الشيخ الصالح ابي عمران موسى ابراهيم يلخص جيدا هذا الخصال حيث قال "كان الشيخ ابي عمران رحمه الله تعالى يستعمل زاده من تقوى الله عز وجل، في السر والعلانية والورع في مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه، حافظا للسانه مميزا بكلامه ان تكلم تكلم بعلم ادا رأى الكلام صوابا ان سكت سكت بعلم، إذا رأى السكوت صوابا، قليل الخوض في مالا يعنيه يخاف من لسانه أكثر مما يخاف من عدوه، يجلس لسانه كحبسه لعدوه، ليأمن من شره وسوء عاقبته، قليل الضحك مما يضحك الناس، وان أمر بشيء مما يوافق الحق تبسم، لا يغتاب احد ولا يظلم احد ولا يحقر احد ولا يسيء الضن في احد، قد جعل القرآن والسنة دليلا له الى كل خلق حسن، حافظا لجميع جوارحه، إن جهل عليه حلم ولا يظلم وان ظلم عفا، ولا يبغي وإن بغي عليه متواضع في نفسه إذا قيل الحق قبله من صغير او من كبير، يطلب الرفعة من الله عز وجل من المخلوقين، فهذه كانت أخلاقه⁴ .

¹ - ربيعة شكيمة وآخرون، مرجع سابق، ص20.

² - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص100.

³ - الغزبيني، مصدر سابق، ص152.

⁴ - البشير غانبا، مرجع سابق، ص227 .

ولم يبلغ الأولياء هذا الشأن العظيم حتى أعتقد فيهم جمهور من المجتمع، أنهم معصومون من الخطأ، لولا دورهم الرئيسي فيهم كذلك إلى دور الولي في تهيئة ذهنيات المجتمع لقبول مبدأ احترام الأولياء والسعي إلى خدمتهم لينالوا الأجر والثواب، حيث نقل عن القطب الغوث أبي مدين شعيب قوله: "من حرم احترام الأولياء ابتلاه الله بالمقت من خلقه¹ وقوله كذلك "من خدم الصالحين ارتفع بخدمته، وقوله أيضا "أبناء الدنيا بخدمتهم العبيد والإماء، وأبناء الآخرة بخدمتهم الأحرار والكرماء².

ومن مظاهر الاعتقاد في الأولياء تقديسهم والتمسح بهم وطلب الدعاء لهم، لأن دعائهم مستجاب، فمنهم الولي أبو محمد بن وحلان الذي كانت دار سكنه قريبة من الجامع فإذا صلى الجمعة انصرف إلى منزله فلم يكن يصله إلا أوقات وقت العصر من كثرة ما يحسبه الناس للدعاء والتمسح به³.

ولعل من جنائز الأولياء نستطيع أن نقف أكثر من مكانة الولي لدى مجتمعه، وقد عبر الولي أبو علي عمر الحباك التلمساني عن جنازة أبي مدين شعيب عليه السلام، بالعباد خارج تلمسان" فما رأيت أعز من الفقراء في ذلك اليوم ولا أذل من الأغنياء في ذلك اليوم⁴.

وهكذا فإن الدور الديني للأولياء يعزز انتمائهم لمجتمع مسلم، من خلال مواقفهم المهمة في مجالات وميادين مهمة حملوها على عاتقهم، والتي حاولنا بدورنا توضيح بعض جوانبها التي دارت حول ترسيخ الإسلام والتربية الدينية، وتدعيم الأخلاق الكريمة ومحاربة الفساد خاصة الأخلاقي، وكذلك صورة الأولياء القدوة التي رسموها لأنفسهم بفضل ممارستهم السلوكية وسيرتهم داخل المجتمع فكان رد فعل المجتمع اتجاههم بأن قدسهم⁵.

2- التكافل الاجتماعي:

لقد برز دور الصلحاء بقوة في المجتمع مغرب الأوسط في الفترة المدروسة لتخفيف من درجة الفقر والرفع من مستوى المعيشة لأفراد هذا المجتمع، وذلك بتشجيع الأغنياء وحثهم على الصدقة التي إتخذها هؤلاء الصلحاء مسلكا لمساعدة الفقراء وإن كان يطغى عليها جانب خيالي ممزوج بالكرامات في أغلب الأحيان، فقد تصدق أبو الفضل بن محمد القرشي القرطبي لأحد فقراء بجاية ممن لا يملكون قوت يومهم بصره من الدراهم ولم يكن المال ينقص منها بالرغم من شراء الفقير عدة أشياء حتى تيسر حاله⁶.

¹ - الغريبي، مصدر سابق، ص 63

² - مصدر نفسه، ص 63 .

³ - ابن الزيات، مصدر سابق، 147 .

⁴ - ابن القنفذ، مصدر سابق، ص 104 .

⁵ - البشير غانيا، مرجع سلبق، ص 231 .

⁶ - سمية مردور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور محمد الأمين بالغيث، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، 1429-1430هـ/2008-2009م، ص 70.

وقد كان أبو عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق يهب المال لمن يريدون التجارة فيجنون من وراء ذلك أرباحا طائلة¹، وكان يشتري بالقليل من المال الأشياء الغالية في حقيقتها فقد اشتري كبشا بربع درهم، كما لم يكتف هذا الصالح بذلك بل كان يكتال من زرعه للضعفاء طوال السنة، ويخرج لهم مقدارا من المال والقمح صدقة كل جمعة². وكان مجيب الدعاء يدعوا لمن به فقرا أو مرضا أو مصيبة فتتيسر حاله، وكان أبو الحسن علي ميمون ضعيفا فقيرا كثير العائلة فدعا له الشيخ فصح جسده وأصبح ذو مال كثير³.

وقد أصبحت الزاوية المكان الذي يأوي إليه هؤلاء الفقراء والمحتاجين، لأنهم وجدوا فيها ما يحتاجون من الخيرات التي ترد على شيوخها، فقد كان الشيخ محمد الهواري يتصدق بالصدقات والندور التي تأتيه من كل بلاد ولا يترك لنفسه شيئا⁴، ومثله الشيخ الحسن أبركان الذي كانت تأتيه الصدقات من كل بلاد فيجمع كميات كبيرة من الذهب يتصدق بها على طلاب العلم والمسالحين⁵.

ولم يكتف الشيخ الصالح أحمد الغماري بتفريق ما يصله من الذهب والذي يقدر بمائة والمائتين أو الصدقات على الفقراء والمساكين، بل كان يقوم بخدمة المرضى منهم بنفسه ويحمل الطعام والماء إلى منازلهم ويطمئن على أحوالهم⁶ وذكر لنا الوزان أن أحد الصالحين القاطن في إقليم البطحاء، قد إشتهر بالغنى وكانت تصله الصدقات من كل بلاد لأن صيته قد داع في الآفاق فيجمع سنويا من ذلك مبلغ يتراوح بين أربعة آلاف وخمسة آلاف مئقال فيطعم به كل الفقراء فكانت زاويته ملجا للغرباء حتى كثر عدد مريديه⁷.

¹ - أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 1429هـ/2008م، ص162.

² - مصدر نفسه، ص160-163.

³ - مصدر نفسه، ص165.

⁴ - محمد بن سعيد الأندلسي التلمساني ابن سعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح: يحي بو عزيز، المؤسسة الوطنية للإشهار، الجزائر، د ط، 2004، ص 105 . 104 . 56 .

⁵ - مصدر نفسه، ص129.

⁶ - مصدر نفسه، ص 194 . 195 .

⁷ - حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج2، ص 28 . 29 .

فقد ذكرت لنا كتب النوازل صوراً هامة من تكفل ذوي الكفاف بالفقراء في مجتمع المغرب الأوسط، فقد سئل عمران المشدالي عمن تصدق من أضحيتته على فقير هل سيوغ للفقير بيع ما تصدق به عليه من ذلك¹، وسئل أيضاً ابن مرزوق " عن قوم يعينون أشجاراً من التين والعنب للضعفاء والمساكين² . وقد برز دور الصلحاء أيضاً في بلاد المغرب الأوسط كطرف معارض ومعادي لأعمال الظلم الصادرة من السلطة أو بعض الجهات المتجبرة، فقد روي لنا ابن مرزوق الخطيب عن جده الذي دعى لأحد الشبان حتى يطلق سراحه بعد أن سجن من طرف وزير السلطان، لأنه كان يأتي له بمختلف مرافق البادية من فحم وخطب فوشى به أهل القبيلة، لكن الوزير أطلق سراحه عندما دعا ذلك الولي أي ابن مرزوق الخ...³ . كما اشتكى أيضاً بعض الشرفاء الكائنين بوطن مغراوة من بلاد الشلف ظلم واليهام إلى الولي الصوفي أحمد الغماري فوضع حداً لذلك⁴ .

وكتب التراجم والمناقب أعطتنا صورة واضحة عن دور الأولياء بالمغرب الأوسط زمن الدراسة في زمن الكوارث خصوصاً أوقات الجفاف، وحسبنا في ذلك ما ذكره الغبريني عن الولي أبي الحسن الحرالي أنه عندما أصاب الناس جفافاً بيجاية دعا الله بأن تمطرهم فاستجاب الله له وأمطرهم مطراً غزيراً وأخذ يغسل ويشرب منه ويقول " مرحباً بقريب عهد من ربه⁵ " .

وقد نزل المطر على أهل العباد بعد طول الجفاف ببركة الولي الذي نزل عندهم، وهو الشيخ واضح الذي اشتهر أمره في الشلف في أواسط القرن السابع مع أصحابه من الفضلاء فامتألت آبارهم وسواقيهم وإنتجعوا بمواشيهم فاعتزموا على رؤيته والتبرك به⁶ .

كشكل من أشكال الوظيفة الاجتماعية اشتهر بعض الأولياء بعلاج العديد من الأمراض التي استعصت عن الطبيب حتى إن أحد الباحثين اعتبر أن دور الولي "يبدأ عندما ينتهي دور الطبيب⁷ " .

¹ - أحمد بن يحيى التلمساني الوشريسي، المعيار المغرب من فتاوى علماء إفريقياء والأندلس والمغرب، تح: محمد الحجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م، ج1، ص36.

² - سمية مزدور، مرجع السابق، ص72.

³ - بن مرزوق التلمساني، مصدر سابق، ص151 . 152.

⁴ - بن سعد، مصدر سابق، ص233.

⁵ - الغبريني، مصدر سابق، ص149.

⁶ - سمية مزدور، مرجع سابق، ص151.

⁷ - عبد الطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع (نماذج من القرن العاشر هجري)، منشورات جامعة الحسن الثاني، المغرب، د ط، 1989، ص116.

ولقد تعددت وسائل العلاج عند أولياء المغرب الأوسط مرة بالرقية ومرة بالتفل ومرة باللمس غير مصحوب بالتفل وأيضا بالدعاء، ولقد إنتهج أولياء المغرب الأوسط أسلوب العلاج بالرقية بصفتها علاجاً شرعياً يقوم أساساً على الدعاء وآيات وسور قرآنية، فقد كان أبو العلاء المديوني المتوفي (735هـ - 1334م) من المخصوصين بالكشف والرقى لعلاج الميراثات من جميع الداء لاولى العاهات¹ وإن كان الدعاء يعد من أكثر الطقوس المرتبطة بظاهرة الولاية وهو أيضاً من أبرز أساليب العلاج التي إنتهجها أولياء المغرب الأوسط على إعتبار أن دعواتهم مستجابة وقد مرض والد مرزوق وأصابه شللاً فكان خير دواء اتبعه هذا الولي هو الدعاء والصلاة على النبي إلى أن امتثل للشفاء².

¹ - إبن مريم، مصدر سابق، ص70.

² - بن مرزوق التلمساني، مصدر سابق، ص227.

الفصل الثاني:

السلطة في المغرب الأوسط خلال القرنين

(7-8 هـ - 13-14 م)

I- السلطة وتطورها في التاريخ الاسلامي

1- تعريف السلطة:

أ- تعريف السلطة لغة:

مصطلح سلطة مشتق من سلاطنة أي التمكين من القهر، الفعل هو سلط يقال سلطته فتسلط أي تحكّم وتمكن وسيطر، ومنه جاءت لفظة سلطان بمعنى الحاكم المسيطر أو القوي القاهر¹، ولقد وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع منه قوله تعالى: "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان"²، وقوله: "ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً"³، وقوله أيضا: "هلك عني سلطانية"⁴.

اما الفيروز آبادي فقد عرفها بمعنى القدرة والقوة بمعنى أن معظم القواميس والمعاجم القديمة منها والحديثة تجمع على أنها تحمل ثلاث معان القهر، القوة، السيادة⁵.

ب- تعريف السلطة اصطلاحا:

السلطة هي القوة المناط بها ادارة المجتمع الإنساني وحكومته، وهي من الضروريات التي لا يستغنى عنها⁶ أي أنها عبارة عن واقع اجتماعي، وجودها ضروري حيثما كان هناك تجمع يشري لذلك قيل إن السلطة ليست مفهوما سياسيا مطلق وإنما هي مفهوم يتعلق بنشوء ظاهرة خضوع المجموعات البشرية وطاعتها لفرد أو مجموعة من الأفراد فيما يقرره من أوامر ونواهي وتمثل الدولة السلطة التي لا تعلوها سلطة، وهذا لإمتلاكها السيادة ووسائل الإكراه والقوة لتطبيق القوانين في المجتمع⁷، والسلطة بمعناها العام تعني "الحق في الأمر وهي تستلزم أمرا ومأمورا وأمرا، إنها علاقة بين طرفين متراضين يعترف الاول منهما بأن ما يصدره من أمر إلى الطرف الثاني ليس واجبا عليه، إلا أنه صادرا له عن حق له فيه، ويعترف الثاني منهما بأن تنفيذه للأمر مبني على وجوب الطاعة عليه وحق الطرف الأول الاصدار في الأمر، وثمة مَن ينظر إلى

¹ - فاطمة الزهراء جدو، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (470-635هـ/1086-1238م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور ابراهيم بكير بحاز، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 1428-1489هـ/2007م، ص2.

² - سورة الحجر، الآية42.

³ - سورة الإسراء، الآية33.

⁴ - سورة الحاقة، الآية29، ص567.

⁵ - فاطمة جدو، مرجع سابق، ص3.

⁶ - بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، دط، دت، ج10 ص273.

⁷ - فاطمة جدو، مرجع سابق، ص3.

السلطة من منظور الشرعية أو المكانة أو التأثير والقدرة أو الأحقية أو جانبها الأخلاقي، فئة من يعرف السلطة بإعتبارها القدرة أو القوة التي يتركز عليها مجال النفود كل النفود¹، ويمكننا أن نعرفها أيضا بأنها قدرة طبقة إجتماعية معينة على تحقيق مصالحها الموضوعية الخاصة².

2- تطوّر السلطة في التاريخ الإسلامي:

في أوّل الأمر جمع الرسول ﷺ بين التشريع والتنفيذ والقضاء³، فكان هو القاضي والمشرّع والمنقذ للأحكام، مصدره في كلّ ذلك القرآن الكريم والسنة، إذن السلطة في بداية نشأة الدولة الإسلامية كانت مركّزة في شخصيّة رسول الله ﷺ.

بعد وفاة الرسول ﷺ برز اتجاهين في السلطة، اتجاه أول مثله كبار الصحابة الذين تولّوا إدارة شؤون الدولة على الصعيد المركزي، واتجاه ثاني مثله الولاة والقادة الذين كانت سلطتهم تقتصر على صعيد المدن والأقاليم فقط.

إنّ المتفحّص لهذه المرحلة التي أعقبت وفاة الرسول ﷺ والتي اصطحح عليها بالعصر الراشدي، يلاحظ تباين في مفهوم السلطة بين الخلفاء الراشدين في حدّ ذاتهم، فمثلا خلال فترة كلّ من أبي بكر وعمر وعلي نلاحظ أنّ السلطة مستمدّة من إرادة الأمة، والمجتمع كلّه يخضع لنفس مقتضيات الشريعة، بينما نجد أنّ العهد العثماني يستند إلى نظريّة التفويض الإلهي حين كانت السيطرة كاملة للأقلية الأمويّة في فرض وجودها وقراراتها دون فتح مجال للحوار مع المعارضة في مجال تنظيم الدولة والإدارة⁴.

ومجمل القول أنّ السلطة في العصر الراشدي كانت وظيفتها الأساسية مراقبة المجتمع المسلم، خاصّة فيما يتعلّق بممارسة الشعائر والشرائع الدنيويّة⁵.

بعد هذا العهد تتخذ السلطة شكلا وراثيا بالمشرق حتّى نهاية العصر الوسيط، ويمكن تقسيم المراحل التي مرّت بها السلطة الوراثية في العصر الوسيط إلى ثلاثة مراحل:

أ. المرحلة الأولى: السلطة كانت بيد العرب مثلتها الدولة الأمويّة.

¹ - مجّد حلمي عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 39.

² - نيكوس بولانتزاس، السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية، تر: عادل غنيم، دار ابن خلدون، بيروت، ط2، 1983، ص 118.

³ - صالح فركوس، تاريخ التّظيم القانونيّة والاسلاميّة، دار العلوم للنشر والتّوزيع، عتّابة، د ط، د ت، ص 62.

⁴ - إبراهيم حركات، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، إفريقيا الشرق، بيروت، د ط، 1998م، ص 159.

⁵ - مرجع نفسه، ص 159.

ب. المرحلة الثانية: خرجت السلطة من يد العرب، وذلك نتيجة التأثير الفارسي في مقاليد السلطة للدولة العباسية.

ج. المرحلة الثالثة: هذه المرحلة مليئة بالصراعات والانتفاضات، أهم مميّزاتها انتقال السلطة إلى العنصر التركي.

أما منطقة المغرب الإسلامي، فعلى الرغم من الشكل الوراثي الذي اتخذته السلطة في أقاليمه، التي انقطعت علاقتها مع سلطة الخلافة بالمشرق، ابتداء من النصف الأول من القرن الثاني الهجري، إلا أنها لم تشهد صراعات¹، وتنوع الأجناس والعقائد والملك التي عرفتها منطقة المشرق، وهذا ما ساعد على حفاظ منطقة المغرب الإسلامي على الوحدة المذهبية والفكرية، وحتى السياسية فيما بعد².

¹ - إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص 161.

² - فاطمة جدو، مرجع سابق، ص 5.

II- أهم سلاطين المغرب الأوسط خلال القرن (8،7هـ/14،13م):

1- الدولة الحفصية:

أ- أصل ونسب الحفصيين:

اختلف المؤرخون حول نسب الحفصيين إذ يرجعه البعض إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقولون عنه: "هومن بني أبي حفص عمر بن يحيى بن محمد بن علي بن أحمد بن ولال بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن محبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر الخطاب رضي الله عنه"¹، وهناك من أرجعه إلى قبيلة هنتانة التي تعتبر من أهم القبائل الصامدة على وجه الخصوص ومن أكبر قبائل البربر في المغرب وموطنها بجبال درن القريبة لمراكش، فيقولون هو أبو حفص المثاني².

وما يعرف عن بلاد المغرب من اختلاف الانساب إلى البيت الشريف فمثلا زناته كانت تدعى أنها من العرب وأبناء زيان ملوك تلمسان أيضا، ولعل الحفصيين تأثروا بهذه الموجة المنتشرة في بلاد المغرب وقتئذٍ فزعموا أنهم ينسبون إلى عمر بن الخطاب وهذا النسب لم يذكره إلا مؤرخ واحد (ابن نخيل)³.

وهذا هو الواقع لأن العرب كانت تحافظ على أنسابها وتبتعد عن الإختلاط في الأنساب، فلربما قصد الحفصيون من إنتسابهم إلى الخلفية عمر بن الخطاب إكتساب حكمهم الصبغة الشرعية ولتتميزوا عن غيرهم من قبائل البربر بالنسب الشريف⁴. وكان الشيخ أبو حفص ذو مكانة رفيعة لدى دولة الموحدين وهو من العشرة السابقين لدعوته والمسمون بالجماعة الذين بايعوا المهدي بن تومرت ولقد بذل قصارى جهده في مناصرته⁵ وكما يأتي بعد عبد المؤمن في المزلة عند الموحدين من غير منازع ويشترك معه في الألقاب الرئيسة، فبينما كان يسمى ابن تومرت بالإمام عبد المؤمن بن علي بالخليفة أما هو بالشيخ⁶ فكان الشيخ صاحب

¹ - أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعش في صناعة الأنشا، دار الكتب الخيرية، القاهرة، دط، 1915م، ص377، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بمضارتما الحمية، تونس، ط1، 1286 هـ. 1889 م، ص122.

² - مروة مهريه وآخرون، الصراع السياسي بين الحفصيين والمرينيين(732 - 759 هـ / 1331 - 1358م): مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، إشراف الدكتور واعظ نويوة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 1437-1438هـ/2016-2017م)، ص8.

³ - جميلة مبطي مسعودي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قباها (سنة661هـ وحتى سنة893هـ)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1421هـ. 2000م)، ص109.

⁴ - روبرار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م، ج2، ص9.

⁵ - مروة مهريه وآخرون، مرجع سابق، ص8.

⁶ - عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي (عهد العصر التركي في تونس والجزائر)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2005م، ج2، ص227.

الحل والعقد في عهد عبد المؤمن، فكان عبد المؤمن يرسل في مقدمة الجيوش، ومن ذلك أنه أرسله في مقدمة جيشه حين زحفه إلى المغرب الأوسط قبل فتح مراكش سنة 537هـ، فحمل البربر على الطاعة¹.

ب- نشأة الدولة الحفصية:

عندما تولى الناصر بن المنصور الحكم في الدولة الموحدية (596هـ/1999م)، اسند إلى أبي محمد عبد الواحد أبي حفص الهنتاني أمر إفريقية وأعطاه مطلق التصرف في إدارتها كي يستطيع القيام بأعبائها ويقض على الفتن والثورات المستمرة هناك بزعامة بني غانية² وأخلافهم في المغرب من العرب الداودة حيث تعد هذه الثورة من أكثر الثورات التي أضعفت كاهل الدولة الموحدية، وبعد القضاء على هذه الثورة إزدادت ثقة الموحيدين ببني حفص وخاصة الشيخ أبي محمد عبد الواحد، حيث عرض عليه الخليفة محمد الناصر المنصب ليكون نائبا له على إفريقية فرفض في بادئ الأمر وبعد أن ألح عليه بقوله: "إما أن تتوجه أنت إلى المغرب وأجلس أنا بإفريقية وإما أن تجلس أنت وأتصرف أنا"³. وكان من شروط أبي محمد الحفصي على الخليفة الموحيدي أن يقيم ثلاث سنوات، ريثما تترتب الأحوال وتنقطع أطماع بني غانية عنها، ويحكمه الناصر في من يقيه معه من الجند ويرضاه من أهل الكفاية، وأن لا يتعقب أمره في ولاية ولا غزل، فوافق الناصر بشروطه ورجع إلى مراكش سنة (603هـ/1206م)⁴.

بقي الحكم في إفريقية لبني حفص بعد سقوط الدولة الموحدية بسبب النظرة البعيدة للأحداث والحنكة السياسية التي كان يتمتع بها بنو حفص، وخاصة أبو محمد عبد الواحد حيث إستغل قربه من بلاط الحكم ليعرف في الكتب عن مصادر القوة بإتخاذ القرارات العامة في الدولة الموحدية ومنها يبيّن أهدافه المستقبلية وهي الظفر بدولة المغرب الادني، كما لعبت القبائل العربية دوراً مهماً في قيام الدولة الحفصية⁵.

وبعد وفاة أبي محمد عبد الواحد بني حفص (618هـ) ودفن⁶ بالقصبة.

¹ - عبد الرحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ-2000م، ج6، ص371.

² - مروة مهريّة وآخرون، مرجع سابق، ص10.

³ - ابن خلدون، العبر، ج6 ص373.

⁴ - محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، مطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، دط، 1350هـ، ص138.

عبد الله محمد بن أبي إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد مآخود، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1960م، ص18.

⁵ - عبد الفتاح المقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مديوي، القاهرة، ط1، 1994م، ج5، ص44.

⁶ - أبو عبد الله محمد بن الشماخ، الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، دار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1984م، ص52.

نجد أن الأحوال قد تغيرت حيث اختلفت الناس على من يخلف أبو محمد عبد الواحد وانقسموا إلى فريقين فريق مال إلى ابن الشيخ أبي زيد، وفريق مال إلى ابن أخيه إبراهيم ابن اسماعيل بن الشيخ أبي حفص نائباً له، غير أن الخليفة الموحد أمر بتولي أبي العلاء بن أبي يعقوب الحكم في تونس، وأمر أولاد الشيخ بالرجوع إلى مراكش¹، وعقب مقتل الخليفة أبو محمد العادل، استولى والي إشبيلية أبو العلاء إدريس على مراكش واستولى على الخلافة ولقب بالمأمون، وبعث إلى والي إفريقية يطلب منه البيعة والولاء لكن أبا محمد رفض ذلك، فاتصل المأمون بأخيه أبي زكرياء فوافق وأخذ له البيعة على قابس وبعث له الخليفة الموحد بالتقليد على كامل ولاية إفريقية، حيث كسب أبو زكرياء في البداية تأييد أعيان قابس ثم أعلن ولايته على كامل إفريقية (625هـ/1227م) ولما أعلم أخوه أبو محمد بذلك خرج لقتاله لكن شيوخ الموحدين تخلو عنه ثم بايعوا أبا زكرياء يحيى².

ويعتبر الانفصال الرسمي للدولة الموحدية بالنسبة للحفصيين كان على يد أبي زكرياء المؤسس الفعلي للدولة الحفصية، حيث امتدت ولايته لإفريقية من سنة (625هـ/1227م)³ إلى سنة (647هـ/1249م) وإستطاع أن يشكل إمارة تونس وأعلن إستقلال إفريقية عن الدولة الموحدية وذلك من خلال مقاله ابن قنفذ حيث قال: " أسقط الأمير أبو زكرياء ابن الشيخ محمد اسم أمير زكرياء ابن الناصر من الخطبة في بلاد إفريقية واقتصر على الدعاء للمهدي وللخلفاء الراشدين، وكان ذلك أول درجة في الإستبداد، ثم بويعه أول عام ستة وعشرين وستمائة وهذه هي البيعة الأولى من الموحدين "

لما بسط نفوذه على إقليم تونس زحف ابو زكرياء سنة 628هـ على المغرب الأوسط، واستولى على قسنطينة وبجاية ثم مدينة الجزائر سنة (632هـ/1235م) وفي سنة (634هـ/1237م) بويع البيعة الثانية وأصبح يذكر إسمه في الخطبة⁴. وفي سنة (639هـ/1242م) توجه إلى تلمسان وضمها إلى حكمه وفي سنة (640هـ/1243م) وصلت البيعة من سجلماسة وطنجة ثم توالى البيعات من المدن الأندلسية إشبيلية، المرية وغرناطة⁵.

¹ - أحمد بن الخطيب ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية من مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي، وعبد المجيد التركي، دار التونسية للنشر، ط1، 1968، ص106.

² - الزركشي، مصدر سابق، ص22. ابن الشماع، مصدر السابق، ص54.

³ - عبد الرحمان الجليلاني، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، لبنان، ط6، 1983، ج2، ص47.

⁴ - ابن القنفذ القسنطيني، مصدر سابق، ص108. 109.

⁵ - مروة مهيبة وآخرون، مرجع سابق، ص13.

ومن أهم إنجازاته أنه إكتسب محبة الناس حيث شدد الرقابة عن العمال وقرب إليه الفقهاء واستعان بهم، كما كوّن قوة عسكرية لا يستهان بها في إفريقية ورسخ دعائم الدولة وإهتم بالتعليم وفتح عدة مدارس. وتعد فترة أبي زكرياء من أزهى فترات الدولة الحفصية، وتوفي في جمادى الآخر سنة (647هـ/1249م) وعمره 49 سنة وقد عمل قبل وفاته على أخذ ولاية العهد لإبنه، وهذا يعني أن الدولة قامت على أساس وراثي¹.

وبعد وفاة أبي زكرياء تولى إبنه المستنصر الذي بويع في التاسع والعشرين من جمادى الآخر سنة 647هـ، ولم يكن الأمر ممهّدا للمستنصر عندما إستلم زمام أمور الحكم فقد واجهته عدة ثورات وكانت ثورة عمه اللحياني أولها، الذي أراد الحد من سلطة المستنصر ونفوذ الأندلسيين الذين احتلوا المناصب العليا في الدولة الحفصية، لكن هذه الثورة كان مصيرها الفشل².

ولقد داع صيت المستنصر الحفصي في العالم الإسلامي حتى وصلت بيعته من مكة سنة (657هـ/1259م) كان حامل الرسالة من مكة إلى تونس أبا أحمد بن برطلة الأشيلي حيث أعطاه شريف مكة لقب الخليفة وأمير المؤمنين، لأنه كان هو الاجدر في ذلك الوقت بعد سقوط الخلافة العباسية³.

توفي المستنصر بالله بمرض أصابه (11 ذي الحجة 675هـ/1277م) وهو ابن خمسين سنة :فدامت ولايته 28 سنة و5 أشهر و11 يوما، وتولى زمام الحكم بعد وفاته إبنه يحيى الواثق وكان حسن السيرة غير أن أمره لم يستمر وإستولى على الحكم بعده عمه أبا إسحاق إبراهيم سنة (678هـ/1279م) وإستطاع أن يمسك زمام الأمور بعد أن دانت له كل إفريقية، ويقال عنه أنه كان ملك شجاع وفيه غلطة⁴.

وفي عهده قام بالقيروان الفضل بن الواثق وإدعى أنه أحق بالخلافة خلفا لأبيه الذي قال: "أنها إنتزعت منه وعظم أمر الفضل حيث ملك وإحتوى أكثر البلاد (681هـ/1228م) ولم يستطع السلطان الحفصي أبو إسحاق القضاء عليه، وتنازل على الخلافة لإبنه أبي فارس وتلقب بالمتعمد على الله، وجهاز

¹ - ابن الشماخ، المصدر السابق، ص60.

² - الزركشي، مصدر سابق، ص118، ابن القنفذ القسنطيني، مصدر سابق، ص117. 114.

³ - جميلة مبطي المسعودي، مرجع سابق، ص35.

⁴ - ابن الشماخ، مصدر سابق، ص75. 76، ابن القنفذ القسنطيني، مصدر سابق، ص137.

الجيش وخرج للقاء الفضل بن الوائق إلا أن أنصار السلطان أبي فارس خانته فهزم وقتل سنة (682هـ/1283م) هو وإخوانه¹.

وبعد ذلك تداول عدة أمراء، على الدولة فكانوا ضعافاً لم ينهضوا بالدولة، وبدأ نفوذ الأوروبيين يكبر بعدما استعانت بهم الإخوة الفرعاء المتنافسون على العرش الحفصي، وأصبح الأوروبيون يتدخلون بشكل مباشر في الشؤون الداخلية لدولة وبعد أن سيطرو على طرابلس تنبه سلاطين بني حفص للخطر الأجنبي ما استدعى تدخل طرف ثالث وهم العثمانيون الأتراك ودخلوا في معارك طاحنة وانتهت بانتصار العثمانيين على الإسبان وسقطت الدولة الحفصية².

2- الدولة الزيانية:

أ- أصلهم وموطنهم:

تنسب دولة بني عبد الواد أو بني زيان إلى قبيلة بن عبد الواد إحدى بطون زناتة بنو عبد الواد، يرتادون منطقة الأوراس وينتجعون إقليم الزاب قسنطينة وكان بنو عبد الواد من القبائل الرحل التي كانت تجوب صحراء المغرب الأوسط، وكانوا ينتجعون المراعي الخصبة، ويترددون على المناطق التي تقع ما بين فكيك ومديونة وجبل راشد³. وينقسم بنو عبد الواد إلى عدة بطون ذكر منها ابن خلدون ستة هي: " بنو ياتكين، وبنو أرلو، وبنو رهطف، ونصوحة، وبنو تومرت، وبنو القاسم⁴.

وفي عهد المرابطين إنتقل بنو عبد الواد إلى غرب المغرب الأوسط تحت ضغط الهلاليين، ولما وصل الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي(524-558/1130-1163) إلى هذه الديار بجيوشه اعترضتهم زناتة، وفي مقدمتهم بنو عبد الواد، فكانت بينهم حروب مشهورة وعلى إثر ذلك إنحاشا بنو عبد الواد إلى الموحدين أنحاشا وأصبحوا من أخلص قبائل زناتة ولاء لهم⁵.

¹ لغشيم مصطفى، هجرة العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى دراسة إجتماعية وثقافية (القرن 7. 9هـ - 13. 15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية والإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2012 هـ. 2013م، ص 14. 15.

² مروة مهريه وآخرون، مرجع سابق، ص 15. 16.

³ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، إجتماعية، ثقافية)، موفم، لنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ج 1، ص 14.

⁴ هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرنية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف الدكتور مبخوت بودواية، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بلقاييد، تلمسان، 2007. 2008م، ص 7.

⁵ عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 15.

أما الدولة الزيانية فهي نسبة إلى زيان بن ثابت بن مُجَّد بن زيدان بن بندوكس بن طاع الله علي بن يمل بن برجى ابن القاسم ومن القاسم هذا تنسل جمهور بني عبد الواد¹.

نشأة الدولة الزيانية:

أما عن كيفية وصول بنو عبد الواد إلى الحكم فيجمع كل من يحيى بن خلدون، وعبد الرحمان بن خلدون والتنسي، بأن أبا سعيد شقيق المأمون سلطان الموحدين كان واليا على تلمسان فاعتقل بعض المشايخ من بني عبد الواد، فقصده إبراهيم بن إسماعيل بن علال الصنهاجي اللمتوني متشفعا فيهم²، فلم يأبه له أبو سعيد ورد شفاعته، فغضب لذلك وثار ضده فأعتقله ثم بعدها أطلق صراح مشايخ بني عبد الواد، ولكنه تمادى إلى أبعد من ذلك، إذ خلع طاعة الموحدين وطمع في إحياء الدولة المرابطية فاعتقد أن ذلك لن يتم له إلا بالقضاء على كبار بني عبد الواد، وتحقيقا لغايته أراد التحايل على مشايخ القبيلة لقتلهم، فبعث إلى جابر بن يوسف (عم يغراسن) الذي كان على رأسهم حينذاك، فأعد لهم وليمة دعاهم إليها بغرض تصفيتهم عند وصولهم لكن المشايخ كان قد بلغهم ما عزم عليه، فتوقفوا خارج البلد يأتمرون وبلغه قدومهم، فخرج إليهم مسرعا يستقبلهم فوقع هو وأصحابه أسيرا بين يدي بني عبد الواد³، فدخل جابر بن يوسف تلمسان وأعلن الدعوة للمأمون وبعث إليه معلنا الطاعة⁴ فعهد له المأمون بولاية تلمسان وتيسير أمورها وما يليها من بلاد زناتة سنة 627هـ/1229م، فكان دخول بني عبد الواد تلمسان 627هـ بقيادة جابر بن يوسف خطوة أولى نحو تأسيس دولتهم⁵، فحاول توسيع نفوذه وإخضاع جيرانه فأطاعه كثيرون فقصده أهل ندرومة يطلب منهم الطاعة فأبوا فحاصر المدينة، لكنه قتل حول أسوارها بسهم (يوسف الغفاري التلمساني) فخلفه ولده الحسن الذي تخلى عن الحكم لعنه عثمان بن يوسف بعد ستة أشهر، فعزل من قبل الرعية بعد عام ونصف لسوء حكمه، فكانت السلطة إلى أبي عزة زيدان بن زيان بن ثابت بن مُجَّد⁶

¹ - مريم بسكاكو، المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب الإسلامي ودورها في التواصل الفكري من القرن (07 . 09 هـ - 13 . 15 م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف الدكتور مبخوت بودواية، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (1438-1439هـ/2017-2018م) ص35.

² - هوارية بكاي، مرجع سابق، ص10.

³ - مُجَّد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرق بني زيان، تح: محمود آغا بوعبياد، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2011م، ص112.113.

⁴ - يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص106.107.

⁵ - عبد الحميد حاجيات، أبو موسى الزياني (حياته وآثاره)، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1982، ص12.

⁶ - مُجَّد عمور الظمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984، ص79.

غير أن بني مطهر رفضوا مبايعته وحاربوه بمساندة بني راشد و انتهت الفتنة بينهم بقتل أبي عزة زيدان في معركة دارت رحاها خارج تلمسان سنة 633هـ عندما تولى أمر تلمسان أخوه يغمراسن¹ بن زيان بن ثابت بن مُجَّد وذلك سنة 633هـ / 1235م الذي تمكن من إخضاع بني مطهر وبني راشد وجمع كلمتهم في ظل الدولة العبد الوادية، التي سارع يغمراسن إلى إعلان إستقلالها عن دولة الموحدين مستنبدا بالحكم دونهم² متخذاً تلمسان عاصمة لبلاد.

وبذلك يدخل بنو عبد الواد مرحلة جديدة بعد أن أصبح لهم كياناً سياسياً يمثلهم وقوة يعتدون بها في المغرب الأوسط³ مرحلة يشوبها العديد من الصراعات والمؤامرات، خاصة من قبل جارثها الحفصية والمرينية وكذا القبائل المجاورة العربية والبربرية ومحور هذا الصراع التوسع وبسط النفوذ وتحقيق الريادة بالقوة.

ولعل يغمراسن بن زيان لم يستثنى من هؤلاء فعندما بويع بالإمارة بعد مقتل أخيه أبي عزة إطلع بالأمر في عزم وقوة فأخضع إلى سلطانه كل الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة أخيه (بني مطهر وبني راشد) فأحسن السيرة في الناس تديراً وسياسة، وعمل على تنظيم قواته العسكرية كما اعتنى بتوفير الأسلحة والذخيرة لها، استعداداً للدفاع عن البلاد كما اعتنى بالجهاز الإداري باستحداث مجلس وزاري وكتاباً ليساعده على تسيير شؤون الإمارة خاصة عندما ألغى السلطة الفعلية للموحدين ولم يبق لهم التبعية الأدبية الروحية خاصة في عهد الخليفة السعيد والدعاء له على المنابر أيام الجمعة والأعياد⁴.

¹ - هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 11.

² - عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، ج 7، ص 162. 163. التنسي، مصدر سابق، ص 113.

³ - عبد الحميد حاجيات، مرجع سابق، ص 13.

⁴ - هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 12.

III- دور السلاطين في مجتمع المغرب الأوسط

1- عناية السلاطين بالعلم والعلماء:

كان سلاطين وأمراء المغرب الإسلامي لهم إرادة قوية ورغبة شديدة، وجهود مستمرة في تشجيع الحركة العلمية بصفة عامة، ورعاية معتبرة للفنون والآداب والعلوم الشرعية على وجه الخصوص فكان لهم عناية دائمة للعلم والعلماء فشجعوا العلماء والفقهاء والأدباء ويستقبلونهم من مختلف الحواضر المغربية¹.

وكان لهذا أثر هام في تنشيط الحركة العلمية في تلمسان، وأول من اهتم بتشجيع العلماء هو بغمراسن بن زيان، الذي فتح الأبواب لاستقبال الكثير من العلماء وأعطى لهم مكانة عالية في دولتهم²، وقد استقبل العديد من العلماء والأدباء من مختلف الحواضر الإسلامية³ فوفد عليه من الأندلس العالم أبو بكر بن الخطاب الأندلسي (686هـ-1287م) برع في الأدب وأحسن بغمراسن لهذا الأديب وجعله صاحب القلم الأعلى في كتابة الرسائل التي بوجهها لسلاطين⁴.

إضافة إلى عائلة الأيلي الذي استخدمهم في جيشه وأسرته بنو ملاح وأسرته العقباني والقرموني⁵.

وقد سار على نهجه السلطان أبو سعيد عثمان 703هـ/1303م واهتم بالعلم وأهله بالإضافة إلى احتفائه بمن كان في بلاط أبيه، واهتم بالشعر واستقدام الشعراء⁶.

أبو السلطان أبو موسى الأول فقد عمل على أن تصبح حاضرتة قلعة للعلم يقصدها أهله حيث بنى مدرسة جميلة واسند فيها للتعليم ابن الإمام أبي زيد وأبي إسحاق⁷ وواصل ابن تاشفين عبد الرحمان الأول ما بين 718هـ-1318م الاعتناء بالعلم والعلماء فبنى المدرسة التاشفينية بجانب مسجد الجامع الأعظم بتلمسان فكان تحفة فنية رائعة⁸ كما نجد أبو الحسن المريني عندما استولى على المغرب الأوسط 737هـ/

¹ عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص319.

² التنسي، مصدر سابق، ص126.

³ عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص319.

⁴ التنسي، مصدر سابق، ص127.

⁵ بوثلجة فضيلة وآخرون، الإشعاع الحضاري والفكري للأندلسيين. في المغرب الأوسط خلال القرنين (7-9 هـ / 13-15 م) بجاية وتلمسان نموذجاً، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 1436. 1437 هـ / 2015. 2016 م، ص44

⁶ يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ص208.

⁷ نعيمة بوكريديمي، الرحلة العلمية لعلماء تلمسان إلى فاس خلال القرن 8هـ-14م، دار العرب لنشر والتوزيع، تلمسان، د ط، 2012، ص24.

⁸ بوثلجة فضيلة وآخرون، مرجع سابق، ص45.

1336م، اعتنى بالعلم والعلماء وبنى مدرسة بجانب الولي الصالح أبو مدين شعيب، والتي كانت تعد معهدا علميا للدراسات العليا تشهد عليه قاعة الدروس والحلقة التي كانت تعقد بها مختلف العلوم العقلية والنقلية¹. كما ابنه أبي عنان من المحبين للعلم وأهله تولى الحكم في تلمسان 749هـ/1348م، حيث كان ذو ثقافة عالية ومستوى علمي رفيع وذوق فني ممتاز وإحساس شعري رائع زيادة إلى أنه كان يقوم بتقريب العلماء إلى مجالسه

وبنى المدرسة بجانب ضريح ومسجد الولي الصالح أبو عبد الله الشوزي الإشبيلي الملقب بالحلوي وسميت بمدرسة الحلوي، وما زالت قائمة في الوقت الحالي² كما نجد أبو حمو موسى الثاني 723هـ/1322م الذي كان أديبا شاعرا³ صاحب كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك⁴ وقام بتشجيع العلم والعلماء فنبع في عهده عدد كبير من العلماء والأدباء⁵ وكانت له مجالس خاصة يحضرها كبار العلماء والشعراء⁶. أما السلطان أبو زيان محمد الثاني 796هـ/1394م كان عالما ومشجعا للعلم والعلماء وحركة التأليف⁷ حيث نسخ نسخا من القرآن الكريم وألف كتابا في الزهد سماه كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمانة⁸.

كان السلطان أبو العباس أحمد العاقل 834هـ/1431م كان مشجعا للعلم والعلماء فكان يجالسهم ويحضر دروسهم فبنى مدرسة الحسن بن مخلوق أيركان⁹.

وقد اهتم السلاطين الحفصيين بالعلم والعلماء فنجد منهم: الأمير أبو زكريا الحفصي 625هـ/1228م، الذي ضم بجاية إلى مملكته 627هـ¹⁰، قام بتشجيع العلماء وتقريبهم إليه، وشهدت بجاية توافد الكثير من العلماء الأندلسيين الفارين من اضطهاد النصارى الذين رحب بهم الأمير وكان يرى أن التجاء

¹ نعيمة بوكريديمي، مرجع سابق، ص 24.

² بوكريديمي، مرجع سابق، ص 19.

³ التنسي، مصدر سابق، ص 179.

⁴ بوكريديمي، مرجع سابق، ص 20.

⁵ عبد الحميد حاجيات، مرجع سابق، ص 59.

⁶ عبد العزيز فيلاي، مرجع سابق، ج 2، ص 323.

⁷ مرجع نفسه، ص 324.

⁸ التنسي، مصدر سابق، ص 211.

⁹ ابن مريم، مصدر سابق، ص 169-170.

¹⁰ نصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية ومظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 2003، ص 104.

هؤلاء العلماء هو تشريف له وإغناء للثروة العلمية والسمعة الأدبية في الدولة الحفصية خاصة والعالم الإسلامي عامة¹.

وبمجيء يحيى الواثق بالله ابن المستنصر 675هـ/1277م الذي سار على نهج أبيه وقام بتقريب العلماء وتعيين الأندلسيين في مناصب عليا سواء بحاضرة تونس أو بجاية².

وأیضا أبو إسحاق إبراهيم 678هـ/1279م عمل على توزيع المناصب على الأندلسيين كالحجابه وخطه الأشغال وكان يميل إلى الأندلسيين في بعض قراراته لأنه كان قادم من الأندلس.

2- جهود السلاطين لتجاوز الأزمات الاجتماعية:

من المعلوم أنّ الدور السلطوي في المجتمع، زمن المجاعة كان تابعا من منطلق رغبة السلطان في تثبيت أركان ملكه³، وذلك من أجل الحصول على شرعية الحكم على أساس موالاة الرعية له تستلزم عليه الوقوف إلى جانبهم في أوقات المحن، والتّظر في أحوالهم، عندما تحلّ بهم جائحة من جوع أو مرض، أو سيل، أو عدو، أو غير ذلك من الأزمات⁴.

وتندرج هذه السياسة ضمن البرامج المقررة على السلطان تطبيقها، وتلمس ذلك بوضوح في الوصاية الملكية التي صاغها السلطان أبو حمو لابنه ولي عهده، حتى يكسب ثقة الرعية وينتسب له الملك، ويقول في ذلك: "إن كان زمن القحط ومحل ومجاعة واقعة وأزل، فترفق بهم في المخازن والمجاوي، وتحسين لضعفائهم المحتاجين وتجاوي، وتؤثرهم ممّا ادّخرته لشدائدهم في زمن الرّخاء من فوائدهم، فتعمر أسواقهم بما اختزنته من الطّعام ممّا يقام به أوّدّ الناس في ذلك العام، فإذا كنت يا بني عاملا على هذا الأسلوب جلبت على محبّتك كلّ القلوب، ودعت لك الرّعية ببقاء الدّولة والتّمهيد والتّصر والتأييد، وفيه ذلك الصّلاح التّام لدولتك والخير العام لرعيّتك"⁵.

¹ بوتلجة فضيلة، مرجع سابق، ص 47.

² ابن القنفذ، مصدر سابق، ص 134.

³ أبو عبد الله محمد الأصبحي الغرناطي ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، ليبيا، د ط، ص 201.

⁴ - مصدر نفسه، ص 584-593.

⁵ - موسى الزّياتي التلمساني أبو حمو، واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدّولة التّونسيّة، تونس، د ط، 1279هـ/1862م، ص 87-88.

لقد أشارت المصادر إلى بعض جهود السلاطين أوقات المجاعة، والتي تندرج في إطار التأريخ لمآثر هذه الطبقة وذكر أعمالها الجليلة، ونحن لا نشك في صحة هذه التصوص، بقدر ما نجزم على هذا الغرض الذي أرخت من أجله، ونستهل ذلك الجهود التي قام بها الخليفة المستنصر الموحي لتفادي المجاعة الواقعة بالمغرب سنة (616هـ/1219م)، حيث أمر بفتح مخازن الطعام الذي جمعه طوال سنوات الرخاء والخصب وتفريقه على الناس على أن تكون بثمان للأغنياء ومجاناً للفقراء والمحتاجين، فكانت صدقاته حينئذ كثير حتى استطاع الناس تجاوز هذه المحنة¹، والدور نفسه قام به السلطان الزياني أبو تاشفين أيام المجاعة الكائنة سنة 776هـ/1374م، حيث أمر بفتح أهواء الزرع وإباحة بيعه للناس بعد الحط من سعره الذي اقتضته المجاعة رفقا بالناس وحفظاً لنظام حياتهم²، فأراد بذلك أن يخفف من وطأة الغلاء الذي فرضته المجاعة على الناس، وبذل الطعام بسعر يتناسب مع أغلب فئات المجتمع، كما لم تكن هذه الجهود في أوقات المجاعة فقط، بل امتدت إلى ما بعدها، فكانت بمثابة إجراءات اتخذها سلاطين المغرب الأوسط تحسباً لمجاعات أخرى، كاختزان كميات كبيرة من الأطعمة وبناء وتحصين المدن أو إعادة إعمارها، خصوصاً بعد المجاعات التي تكون الحروب والحصارات سبباً في حدوثها، مثل المجاعة الكائنة بتلمسان جزاء الحصار المريني لها، فلما إنقضى الحصار وإنصرف السلطان المريني بفلول بجيشه "كان أول ما بدأ به الملك أبو حمو هدم مدينة يوسف بن يعقوب وإصلاح ماتلف من تلمسان، وبنى الأسوار والستائر وحفر الخنادق وخرن فيها الطعام والآدام والملح والفحم والخطب وما لا حد له ولا حصر³.

ومن ثم، فإن أهل تلمسان قد تعلموا من هذه المجاعة الشديدة كيف يحتاطون لمثيلاتها مستقبلاً، وأصبحت ثقافة الادّخار بالنسبة للدولة الزيانية من الأولويات الأساسية، حتى أنهم لم يتضرروا إبان الحصار الذي فرضه أبو الحسن المريني عليهم مرّة ثانية، فقد كان عندهم من المخزون ما يكفيهم لتجاوز هذه المحنة، ولم يظهر منهم وهن ولا خور لانقطاع الميرة لما كان عندهم من المخزون، حتى قوائد اللحم ومسلّيات الشحوم، ولم يتغيّر طعمها، لأن بلاد المغرب يطول مكث المخزونات بها، فإنه ربّما بقي القمح والشعير في

¹ - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحّدين)، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الشّفاة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ/1985م، ص266-267.

² - يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ص 326.

³ - التنسي، مصدر سابق، ص 135-136.

بعض أماكنها ستين سنة لا يتغير ولا يسوس، ثم يخرج بعد الخزن خلال هذه المدة الطويلة يزرع وينبت، وخصوصا تلمسان في برّ العدو، وطيطة في الأندلس¹.

ولهذا الغرض ولتلك المزايا اعتنى أهل تلمسان وسلطينها بادّخار الطّعام في الأهرام والمطامير، وعلى غرار تلمسان عرفت بعض مناطق المغرب الأوسط بمطاميرها، وبطول مكث الزّرع فيه دون أن تتلف، كقسنطينة التي شهد لها الإدريسي وأعجب بأمر "الحنطة" تقيم بها في مطاميرها مئة سنة لا تفسد².

وقد ينحصر دور السلّطة في زمن المجاعات بالتكفّل بفئات معينة كالعلماء والصّالحاء فقط، لقد أرسل السلطان أبو تاشفين الزّيّاني مع حاجبه القائد هلال بن عبد الله بمائدة بها مختلف الأطعمة إلى دار الولي الصّالح عبد الرّحمان بن يعقوب الصّنهاجي في وقت المجاعة³.

إنّ الإشارات التي رصدتها المصادر بخصوص دور السلّطة، إزاء مجتمع المغرب الأوسط زمن المجاعة لم تعبّر عن كلّ حيثيات هذا الدّور ومستوياته كتخفيفها الضّرائب على كلّ الرعيّة أو قيامها بالتوزيع الفوري للمساعدات من الطّعام والأموال على الفقراء والمحتاجين في الأيام الأولى لظهور بوادر المجاعة، ممّا يجعلنا نجزم بغياب مثل هذه المساعي وانحياز السلّطة إلى مساعدة فئات معينة من المجتمع كالعلماء والصّالحاء، ممّن ترتجي مساندتهم والرّضا عنها، وتحمل الفئات المحتاجة، وهذا مؤشّر يدلّ على طغيان الطّبقيّة أوقات الأزمات أيضا ومؤشّر على أهميّة طبقة العلماء والصّالحاء في نظر السلّطة، لأنّ المصادر لم تذكر أنّ أحد العلماء والصّالحاء وذوي الجاه والسلّطة توفي بالمجاعة على خلاف عامة الناس إذ يكون هلاكهم بالجوع لا مفر منه...⁴.

أما بالنسبة إلى الدّور السلطوي في المغرب الأوسط إزاء مختلف الأمراض والأوبئة يكتنفه الكثير من الغموض، فإذا كان البيمارستانات يدخل ضمن اهتمامات الدّولة بشؤون الصّحة، فكيف كان وضع هذه المؤسّسة في المغرب الأوسط؟، تكتسي هذه المؤسّسة أهميّة قصوى داخل المجتمع ووجودها يحدد من خلاله درجة تقدّم المستوى الصّحيّ أو تأخّره لهذا المجتمع، كما أنّه يعكس مدى وعي الدّولة واهتماماتها بصّحة

¹ - أحمد بن يحيى ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، منشورات معهد تاريخ العلوم العربيّة والاسلامية، جامعة فرانكفورت، د ط، 1408هـ/1988م، ص90.

² - أبو عبد الله الشّريف محمّد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1983م، ج1، ص256.

³ - بن مرزوق التلمساني، مصدر سابق، ص299.

⁴ - سمية مردور، مرجع سابق، ص10.

السكان وسلامتهم، ويرتكز وجودها في المغرب عموماً في الحواضر الكبرى والمدن، في حين ينعدم وجودها في الأرياف والبوادي، حيث تقلّ الخدمات الصحيّة داخل هذا المجال¹.

فقد ذكر الوزان عندما وصف مدينة بجاية بأنّها بيمارستانات بصيغة الجمع تدلّ على تعدّدها، وذلك يعكس مدى اهتمام السلطنة الحفصيّة بهذه المؤسسة، وبصحة السكان وسلامتهم²، وكذلك سلاطين الدولة الزيّانية قد اهتموا أيضاً بتشييد مؤسسة البيمارستان مثل الحفصيين، فقد أشار يحيى ابن خلدون إلى وجود بيمارستانات في تلمسان فترة حكم السلطان أبي تاشفين الزيّاني³.

إضافة إلى الدور الصحيّ الذي تجسّده البيمارستانات من الاهتمام بالمرضى، ووصف الدّواء المناسب لهم، كان لهذه المؤسسة دور آخر تجلّى بوضوح زمن المجاعة، فالبيمارستانات اعتبرت بمثابة الملاجئ الخيريّة التي يأوي إليها غالبية الفقراء والمساكين، بعد أن تجمعهم الدولة هناك حتّى يسهل عليها توزيع الصدقة عليهم والاهتمام بهم على أكمل وجه، وفي ذلك يقول يحيى ابن خلدون: "ثمّ اقتضى نظره الكريم (السلطان أبو تاشفين الزيّاني) أن ضمّهم أجمعين بيمارستانات يأتيهم فيها رزقهم بكرة وعشياً"⁴، ومن الواضح جلياً أنّه لم يكن ليذكر ذلك إلاّ ليرز مزايا هذا السلطان والدور الذي جسّده إبان المجاعة التي اجتاحت تلمسان سنة 767هـ/1365م.

¹ - نفس المرجع، ص 156.

² - بليون الافريقي، مصدر سابق، ص 50.

³ - يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص 326.

⁴ - مصدر نفسه، ص 326.

الفصل الثالث:

العلاقة بين الأولياء والسلطة في المغرب الأوسط

خلال القرنين 7-8 هـ / 13-14م

I- الأولياء والسلطة بين الاحتواء والحذر

إنّ الحديث عن العلاقة بين الأولياء والسلطين يحيلنا إلى التحدّث عن فئتين متناقضتين من المجتمع، فالأولى أصحابها يرون أنفسهم أنّهم طلاب آخرة، وينظرون إلى أصحاب الفئة الثانية أنّهم طلاب دنيا، وكان منطلقهم في هذا الحكم من مبادئ تصوّف من جهة، وشؤون الحكم ومصالحه من جهة أخرى، هذا التناقض الذي انعكس بطبيعة الحال على طبيعة العلاقة بينهما، وخاصة أنّنا أمام فئتين من المجتمع، أولياء أصحاب تيار فكري سلوكي يعتبر الحياة الدّنيا طريقا لدار الآخرة، وسلطين أصحاب ملك يحاولون بشقّي الطرق الحفاظ عليه¹.

1- احتواء السلطان للولي:

حاول سلاطين بني حفص احتواء الأولياء وتقريبهم إليهم، خاصة على عهد السلطانين أبي زكريا ثمّ ابنه المستنصر اللذين كانا يمثلان ذرّة التّدوين والتّقشّف والزهد مقارنة ببقية سلاطين بني حفص، وكذلك عرف عن الأمير البجائي أبي يحيى زكريا الذي سار على خطى والده أبي زكريا خلقا وسياسة وتعاملا مع الصوّفيّة بتقريبهم والتودّد لهم بشكل قلّ نظيره عند الولاة اللذين تعاقبوا على بجاية، ولقد كان الشّيخ علي بن أبي نصر يزوره السلطان المستنصر في بيته ببجاية طالبا دعواته ونيلا لبركاته، مقدّما له بعض العطايا والحاجات كرما منه "ويتلقّى باليد والقبول حاجته"²، ولقد عمل سلاطين بني حفص على معرفة المستوى المعرفي والمقدرة العلميّة لمتصوّفة بجاية بالمناظرة والمحاورة مع فقهاء الحاضرة، لأجل ذلك بعث السلطان أبي زكريا للصوّفي البجائي أبي العباس أحمد المتوسي بالحضور لمجلسه، وقد أبان عن تمكّنه وتفوّقه على فقهاء تونس فلم يتكلّم عند خوضهم الحديث في المبادئ التي لا تظهر علم صاحبها فأجله الحضور، وفي مقدّماتهم السلطان، وخرج منتصرا من هذا الامتحان³.

لا يمكننا أن نستدلّ بهاتين الحالتين على أنّهما أيّدا السلطة الحفصيّة بقدر ما نعدّه تقديرا لشخصيّة الفقيهين أبي نصر والمتوسي، كما ترجم لهما الغبريني على أنّهما كانا على علم ووجاهة وديانة واجتهادا، وسلطتهما العلميّة ببجاية سبقت تصوّفهما ويفسّر هذا السعي الحثيث من نظام الحكم ببجاية لجلب

¹ - البشير غانيا، مرجع سابق، ص 177

² - الغبريني، مصدر سابق، ص 142.

³ - نفس المصدر، ص 172.

الصوفيّة إلى صفّه لما كان يتمنّع به هؤلاء من حبّ النَّاس لهم، وتقديرهم واحترامهم¹، والاعتقاد في ولايتهم، وقد استهمّ محاولات منهم لاستثمار هذا الولاء لصالحها لكسب مصداقيّاتها عند العامّة بتلبية طلبات شيوخ التّصوّف، وزيارتهم والتّواصل معهم، ودجهم في المنظومة الإداريّة والدّينيّة التابعة للبلاد، والانتصار لهم في مواقف كثيرة، ولو على حساب الفقهاء مثل مظهرها من مظاهر الولاء والرّضا عنهم، وقد وقف السّلطان المستنصر في صفّ الصّوّفيّ أبي عبد الله محمّد بن عليّ القصري (ق 7هـ/13م)، على حساب قاضي بجاية، حيث عزل من وظيفته لسوء معاملته مع القصري²، وتظهر هذه الصّورة محاولة السّلطة المركزيّة التّدخل لصالح متصوّفة بجاية، ولو كان على حساب شخصيّة مرموقة إداريّة ودينيّة كالقاضي³، وقد وجدت ظاهرة التّصوّف مجالاً لها في تقديس الأولياء والجماعات الصّوفيّة⁴. وقد دعم هذه الظّاهرة بني زيّان ابتداء من عميدهم وجدّهم يغمراسن، الذي كان معجبا بالصّوفيّة، والمتصوّفين ساعيا للتّقرب منهم، متحمّسا لنيل بركاتهم⁵، حريصا على زيارتهم.

وكان يكثر من الصّلاة في مجلس الطّلبة، حيث يصليّ الشّيخ أبو عبد الله بن مرزوق، فتردّد على هذا المسجد عدّة مرات، وصلىّ عند السّارية التي تقع بباب المسجد ليالي كثيرة عسى أن يلتقي بالشّيخ ويتحدّث إليه، إلاّ أنّه لم يتمكّن من ذلك، لأنّ الشّيخ بن مرزوق كان يحرص على أن يتفاداه، فتارة يتلبّس بالنّافلة حتّى يبأس السّلطان من الانتظار فينصرف، وتارة يخرج الشّيخ من المسجد دون أن يشعر به السّلطان، وعندما لم يستطع أن يقابله قال: "حجبتنا الله عنه وبكى، ولكن لعلّ الله يجمعني عنده في الآخرة"، وكان يكثر من زيارة شيخ بأكادير، وهو الشّيخ الصّالح سيدي أبو عبد الله محمّد بن عيسى⁶، ويستقبل الوليّ الشّهير إبراهيم بن عليّ الحيايط في قصره⁷.

وأوصى يغمراسن أبنائه بأن يدفن أبو عبد الله بن مرزوق إلى جانبه وقال في هذا الصّدّد: "لعلّ الله يرحمني بجواره"، وتمّت له الأمانة والوصيّة على ابنه السّلطان أبي سعيد الذي حضر جنازة ابن مرزوق، وقام

¹ - ابن سعد، مصدر سابق، ص 15.

² - الغبريني، مصدر سابق، ص 170-171.

³ - بريكة مسعود، النّخبة والسّلطة في بجاية الحفصيّة (7-9هـ/13-15م)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2014م، ص 316.

⁴ - الفردبيل، الفرق الإسلاميّة في الشّمال الإفريقي من الفتح العربي حتّى اليوم، تر: عبد الرّحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1987م، ص 312.

⁵ - الفردبيل، مرجع سابق، ص 312.

⁶ - عبد العزيز فيلاي، مرجع سابق، ص 389.

⁷ - الفردبيل، مرجع سابق، ص: 313.

بدفنه بالدويرة التي بالجامع الأعظم إلى جوار والده¹، وهي مدفن عائلة بني عبد الواد، وقبره ظلّ مزارا معروفا إلى هذه الدويرة، وهو عكس ما ذكره ابن خلدون في تعريفه²، وتبعه في ذلك بعض الباحثين في أنّ ابن مرزوق توفي قبل السلطان يغمراسن ودفن قبله في هذه الدويرة للأسرة الحاكمة، لكنّ ابن مرزوق أدركته الوفاة في أوائل رجب من سنة 681 هـ بينما يكون الاحتمال الحقيقي بأنّ السلطان يغمراسن قد توفي في نهاية شهر ذي القعدة من سنة 680 هـ، وبالتالي يكون يغمراسن قد دفن قبل الشيخ ابن مرزوق بنحو ثمانية أشهر، لأنّ صاحب المجموع أقرب زمنيا للحادثة من ابن خلدون، وأنّ حفيد الشيخ أكثر ثقة.

ثم أوصى أبنائه أيضا بأن يدفن إلى جانبه الآخر، أول صالح من أصحاب الشيخ من أهل تلمسان، ومن بيوتاتها العريقة يموت بعده، لعلّ الله يكتنفه بهما وبركاتهما، فكان الصّالح الولي أبو الحسن بن النّجارية من أصحاب الشيخ وخواصه أول من مات بعد ابن مرزوق، فدفن مع السلطان وبجوار الشيخ في نفس الدويرة³.

خلال القرن السابع، امتلأت مساجد تلمسان وزواياها بالأولياء، وأنّ التّصوّف قد غزا أفكارهم وعقولهم لدرجة أنّ أبا عبد الله بن مرزوق أوصى ابنه العباس بأن لا يغيّر شيئا في داره، وإذا اضطرّ لذلك فلا يمس عتبه لأنّ كثير من الأولياء الصّالحين جلسوا في هذه العتبة، وكذلك أوصاه بأن يُبقي على البئر التي بداخل المنزل، فقد كان يفطر عليه مئات الأولياء، بل حتّى الأمراء وسلاطين بني زيّان كانوا لا يتأخّرون للتزوّد من مائه كلّ صباح، وكان السلطان أبو يحيى يغمراسن، يقيم المجالس مع هؤلاء الأولياء الصّالحين إلى جانب الفقهاء والعلماء، ويدبّر معهم المناظرات والمذاكرات في قصره⁴.

وضّحت لنا كتب التّراجم والتّاريخ تقريب السّلاطين للأولياء وإدخالهم في خدمتهم، ذكر طاهر بوناني في كتابه التّصوّف في الجزائر بأنّ يغمراسن قام بجلب الولي أبي إسحاق التنسي من تنس إلى إقامة تلمسان، ومنح له أرضا زراعية وقربه من السلطة وجعله متصوّفا في الرّسائل الدبلوماسية بين الدّول الرّيانية ودول المغرب والمشرق⁵.

¹ - عبد العزيز فيلاي، مرجع سابق، ص 389.

² - بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللّبناني، د ط، 1979، ص: 49.

³ - عبد العزيز فيلاي، مرجع سابق، ص 389.

⁴ - نفس المرجع، ص 391.

⁵ - الطّاهر بوناني، مرجع سابق، ص: 202.

كما ذكر ابن مريم أنّ أحمد بن إدريس من الأولياء المقربين إلى السلاطين، حيث قرّبه السلطان أبا العنان¹ الذي ملك تلمسان (753هـ/1352م)، اختاره في مجلسه العلمي، وكان السلطان أبو سعيد يحبّه حبّاً عظيماً².

ومن ذلك زهد أبو يعقوب والد السلطان أبي حمو موسى الثاني في عيشة الملوك، اعتكف لقصة ندرومة مقتصرًا على القيادة والعمل النافع، ونفس الشيء لولده السلطان أبو حمو الثاني (760-791هـ/1389-1358م)، الذي كان يحترم الولي أبو عبد الله شريف (771هـ/1369م)³، فكان يدرس في الزاوية التي أنشأت للتعليم، وكان السلطان يحضر مجالسه، ويجلس على الحصيرة احترامًا وإكرامًا له⁴، وحينما توفيّ دفن بالزاوية مع أبيه أبو يعقوب، وعمّيه أبي سعيد وأبي ثابت⁵، حتّى أنّ بعض السلاطين من كثرة تعلقهم واهتمامهم بالمتصوّفة ألفوا فيه كتب، مثل؛ السلطان محمّد أبي زيّان محمّد بن أبي حمو (796-810هـ/1393-1398م) الذي ألف كتابا نحي فيه منحى التّصوّف سمّاه "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمّارة"⁶، وكان يحتفل بمولد الرّسول ﷺ، متبعا خطى أسلافه ومن السلاطين الذين كانوا يقدرّون ويكتّون مكانة خاصّة للمتصوّفة أحمد العاقل (834-856هـ/1431-1462م) الذي كان يقرب إليه الولي أبي علي الحسن بن مخلوف (ت 857هـ/1454م)، يقول التّنسي في كتابه تاريخ ملوك بني زيّان "... وكانت له عناية بالولي الزاهد القطب الغوث، شيخ الزّهّاد أبو الحسن مخلوف"، فكان يكثر من زيارته ويقتبس من إشارته ومدار أكثر عليه وبنى بزوايته المدرسة الجديدة، وأوقف عليها أوقافا جليلة⁷، ما يبيّن العلاقة الوطيدة والمحترمة بين السلاطين والمتصوّفة.

¹ - فتحة بن قيزة وآخرون، الأولياء والزّهاد في المغرب الأوسط من خلال كتاب البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان لابن مريم التلمساني (ت 1025هـ/1616م)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف الدكتور حمزة عبد الصمد، قسم العلوم الإنسانية، كآية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدينة، 2019-2020م، ص 51.

² - ابن مريم، مصدر سابق، ص 311.

³ - سفيان بويدي، التّصوّف في المغرب الأوسط خلال العهد الزّيّاني (633-962هـ/1235-1554م)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، إشراف الدكتور مسعود كواقي، قسم العلوم الإنسانية، كآية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، 1435-1436هـ/2014-2015م، ص 30.

⁴ - يحي بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 235.

⁵ - مصدر نفسه، ص: 241، عبد العزيز فيلاي، مرجع سابق، ص 322.

⁶ - التّنسي، مصدر سابق، ص 211، عبد العزيز فيلاي، مرجع سابق، ص: 323.

⁷ - مصدر نفسه، ص: 248.

وبعد وفاة أبي يعقوب الذي دفن قرب باب إيلان وأقيمت زاوية أمام قبره، التي نقلت إليها رفات بعض السلاطين حتى أنّ بعضهم بنوا المساجد والزوايا والمدارس من شدة احترامهم لهم.¹

وكثيرا ما كان السلاطين يحضرون جنازة الأولياء ويمشون خلفها، كجنازة الولي إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني (ت 805 هـ / 1403 م)²، التي حضرها السلطان أبي عبد الله محمد (504-8013 هـ / 1402-1411 م)³، الذي دفن بروضة آل زيّان من ملوك تلمسان، والمقرّي التلمساني (ت 842 هـ / 1439 م)، الذي حضر جنازته السلطان أبي العباس أحمد بن زيّان (834-866 هـ / 1431-1463 م)⁴ الذي كان يحضر مجالس العلماء ويستمع لدروسهم ويزورهم، وجنازة الشيخ قاسم العقباني، كما ذكر القلصادي أنّها كانت جنازة عظيمة، وحضرها السلطان فمن دونه، ونفس الأمر للولي العارف بالله بن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1429 م)، يقول القلصادي فيها أيضا أنّها كانت جنازة عظيمة، حضرها السلطان فمن دونه.⁵

والشيخ أبركان كان مقصد السلاطين لالتماس البركة منه، "... وصحنا عليه مرارا، فأبي أن يخرج إلينا، فلما أكثرنا عليه خرج وفتح شيئا من الباب وأخرج إلينا يده ولم يُرنا وجهه، فتبرّكنا به وطلعننا..."⁶.

واصل أبو سعيد عثمان سياسة والده في التّقرّب من الصّوفيّة، والتّودّد إليهم والاعتناء بهم، فقد قام ببناء ضريح على قبر أبي إسحاق الطّيار (ت 700 هـ / 1301 م) تبرّكا به⁷، وبدورهم فقد حفظ الصّوفيّة ليغمراسن وابنه عثمان هذا الاحتفاء وأظهره قولاً وعملاً، حيث مدح الصّوّفيّ ابن الخميس التلمساني (ت 708 هـ / 1309 م) الزّيّانيين بقوله:

لولا بنو زيّان ما لدّ لي العيش
ولا هانت عليّ الليالي
هو خوفوا الدّهر وهم خفّفوا
على بني الدّنيا خطاه الثّقال⁸

¹ - سفيان بويديّة، مرجع سابق، ص 31.

² - مرجع نفسه ص 33.

³ - التّنسي، مصدر سابق، ص 230.

⁴ - مصدر نفسه، ص 249، عبد العزيز فيلاي، مرجع سابق، ص 324.

⁵ - سفيان بويديّة، مرجع سابق، ص: 34.

⁶ - ابن مريم، مصدر سابق، ص 175-191.

⁷ - الفردبيل، مصدر سابق، ص 313.

⁸ - شهاب الدّين أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني، أزهار الزّيّاض في أخبار عياض، تح: مصطفى السّقا وآخرون، مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنّشر، القاهرة، د ط، 1359 هـ - 1940 م، ج 2 ص 307.

إذن، فقد كان سلاطين المغرب الأوسط يعتقدون بالأولياء ويقدرّونهم ويحترمونها ويتقربون إليهم بمختلف الوسائل لنيل بركاتهم وحتى أبنائهم كانوا ينالون الحظوة والاحترام.

2- انقباض الولي عن السلطان:

كان موقف الأولياء اتجاه السلاطين متحفّظا، وكانوا يرفضون ملاقاتهم، كما رفض الولي أحمد بن عجلان طلب السلطان المستنصر بالحضور له بتونس لملاقاته والجلوس إليه، ثمّ عاود الكرة بأن يأتيه المستنصر نفسه إلى بيته ببجاية للقائه والدعاء له، فأبى ذلك متحجّجا بأنّه لا يصلح للقائه السلاطين، وأنّه لا يعرف كيف يقابلهم ويتحدّث إليهم، وهي صورة واضحة لإصرار الولي على عدم مجالسته للأمرء وزهده حتى برؤيتهم¹، فقد كان يغمراسن يتردّد على الصوفيّة ومقابلتهم، كما كان يعرج دائما على مسجد مرسى الطلبة رغبة في لقاء الشيخ أبي عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق، بل أنّه كان يصلّي عند السارية التي تقع على باب المسجد، ليلتقي به ويحدّثه، بيد أنّ الشيخ كان يتفاداه بالإكثار من النافلة حتى يبأس يغمراسن وينصرف أو يخرج من المسجد دون أن يشعر به، وعندما لا يتوصّل للقائه يقول: "حجبنا الله عنه وبكى، ولكن لعلّ الله يجمعني عنده بالآخرة"².

ولقد حفظت لنا كتب التراجم والمناقب الكثير من حالات الانقباض للأولياء اتجاه السلاطين، فذكر لنا صاحب كتاب التّشوّق أنّ ابن العريف يريد ألاّ يعرفه السلطان، حيث قال: "كنت أريد ألاّ يعرفني السلطان وقد عرفني الآن، فلا بدّ من رؤيته"³، أمّا أبو محمّد عبد الجليل بن ويجلان طلبه السلطان للقائه فرفض بحجّة المرض⁴.

وبلغ تشدّد البعض في محاشات السلطان إلى الفرار، فهذا الصّالح أبو عبد بن محمّد ابن شعيب الجذامي رغم أنّه رأى في نومه لا في يقظته أنّه يتّصل بالملك "فخاف من هذه الرّؤية، وكان الملك متوجّها من إفريقيا إلى مراكش فعبر من فاس إلى الجزيرة الخضراء، كما أنّ أبا أحمد بن يلازج الهسكوري الأسود قال بعظمة لسانه عن لقاء بالأمر علي بن يوسف بن تاشفين، "كانت لي أحوال افتقدتها يوم اجتماعي بالسلطان وحديثي معه"، وهنا لاحظنا أنّ رجال التّصوّف تحاشوا إلى جانب الأمر والخلفاء عمّا لهم، سواء

¹ - الغزبيني، مصدر سابق، ص 116.

² - طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 203.

³ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 120.

⁴ - مصدر نفسه، ص 149.

كانوا ولاة أو قضاة أو فقهاء، ودافعهم ذلك حسب ابن عبد الملك "بعدا عن التظاهر ومرارا من ملبسته أبناء الدنيا¹.

وبعد عرضنا من هذه العيّنات تبين لنا نفور الأولياء وأصحاب الكرامات والعلامات من الحكم وجهازه، وهكذا تحاشوا الحكم وعمّاهم انتصارا لطريقتهم وسلوكهم الزّهدي، فأعرضوا عن الدنيا التي يمثّلها الحكم لحساب الآخرة التي هي هدفهم ورجائهم، وهذا ما عبّر عنه الشّاعر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى حين أنشد:

رأيت الانقباض أجل شيء وأدعى في الأمور السّلامة
فهذا الخلق لما لهم ودعهم فخلطتهم تعود إلى التّدامة
ولا تغني بشيء غير شيء يقود إلى خلاصك في القيامة²

3- رفض المناصب والخطط والبعث عن أموال السلطان:

أما بالنسبة للعروض المقدّمة من طرف السّلاطين المتمثّلة في المناصب والخطط، وكذلك العطايا والهدايا فقد كان ردّ فعل الأولياء أن رفضوها مفضّلين حياة الزّهد والتّفكّر والابتعاد عن ملذّات الدنيا وشهواتها، ومن الأولياء الذين رفضوا المناصب المقدّمة لهم نجد:

أنّ الفقيه الصّوّفي عبد الحقّ بن ربيع قد امتنع عن تولّي قضاء بجاية الذي اقترحه عليه الوالي البجائي، كما أنّه ردّ طلب السلطان المستنصر الحفصي بقضاء قسنطينة بتلطف ووقار دون أن يجبر على ذلك أو يعنّفه عن جوابه فزاد في نظر التّاس همّة وارتفع منزلة³، ونفس الشّأن للصّوّفي أحمد بن عجلان الذي رفض عرض المستنصر بقضاء تونس لعلو شأنه وعلمه وذياح صيته ببجاية⁴، ووصل الحدّ إلى أنّ عبد الله محمد السّجلماسي (ق 7هـ-13م) أن لا يقود حتّى في النظر إلى ممثلي السلطة الحفصية ببجاية، ولا يسمح لنفسه حتّى بالتّفكير فيهم وفي ملكهم⁵.

¹ - البشير غانيا، مرجع سابق، ص 184 - 185.

² - ابن الرّيّات، مصدر سابق، ص 152، أبو عبد الله محمد الأنصاري الأوسي المراكشي، الدليل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة، تح: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1973م، ج6، ص 228.

³ - الغبريني، مصدر سابق، ص 88.

⁴ - مصدر نفسه، ص 116.

⁵ - مصدر نفسه، ص 133.

برز هذا الموقف الحاد بالامتناع عن الولوج في السلطة داخل التيار الصوفي بشكل كبير في الدولة الحفصية كلبية، وعلل الصوفي عبد الله بن شعيب (ق 7هـ - 13م) الذي كان له نفس الموقف لما أفتُرح عليه قضاء تونس بأنّ السلاطين والولاة لا يجبّون تطبيق الأحكام الشرعية، ويجدون عنها، وأنّ أمثاله لا يصلحون لمثل هؤلاء، وقيل بمنصب المحتسب لكنّه عزل عنها¹، واتّخذ بعض المتصوّفة سياسة رد كل ما يقترح من الولاة البجائيين من الخطط كلبية حفاظا على المكانة التي حظوا بها عند الناس جرّاء علمهم وأخلاقهم وزهدهم².

البعض منهم تراجع عن عمله واستقال من الوظائف، وهي بمنظور الفكر الصوفي توبة لأنّها مظهر من مظاهر الجري وراء ملذات الدنيا، وتتناقض مع حياة الزهد والتّقشّف التي تميّزهم عن الفقهاء برأيهم، كما عمل أبو محمّد عبد الله بن عبادة الذي استقال من ديوان البحر الذي كان به شاهدا أو مشارا، رغم الكسب المادي الذي كان يجنيه من وظيفته مفضّلا التدريس على الوظيفة السلطانية معرضا عن الدنيا، مقبلا على أفعال الآخرة، بقوله: "حديث بدينار أشرف من دينار"³.

وهذا الانقباض عن السلطة الذي شكّل ذروته في القرن 7هـ - 13م، لم ينحصر في المناصب بل امتدّ إلى رفض العطايا والهدايا وأموال السلطة مفضّلين التّقشّف والزهد عن ما تدرّه عليهم من خيراتهم، فقد ردّ الصوفي أبي زكريا يحيى بن محجوبة عرض الأمير البجائي أبي يحيى زكريا بأن يخصّص له مرتّبا شهريا دائما من الديوان مفضّلا ديوان الآخرة عن ديوان الدنيا بقوله: "إنّ اسمي من ديوان الوجود المطلق فلا أجعله في الديوان المقيّد"⁴.

رفض الشيخ أبي زكريا المرجاني (ق 7هـ - 13م) المؤونة التي بعثها السلطان المستنصر زاهدا فيها مقتنعا بما أعطاه الله، في قوله: يكفيني ما عند الجوّاد"⁵.

وكان أبو العبّاس يعتقد فيه مثل والده في تلمسان، تطلب بركاته حتّى من السلاطين والأمراء الذين كانوا يرغبون في زيارته، فأبو حمو الثاني حاول مرارا رؤيته والجلوس إليه، ورغب منه أن يتولّى وظيفة عقد

¹ - مصدر نفسه، ص: 173-174. آمال لدرع، الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزيّاني (633-962هـ / 1236-1555م)، مدّكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور بوبه مجاني، قسم التاريخ، كلبية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، 1426-1427هـ / 2005-2006م، ص 60.

² - مسعود بريكة، مرجع سابق، ص 321.

³ - الغبريني، مصدر سابق، ص 93.

⁴ - مصدر نفسه، ص 120.

⁵ - مسعود بريكة، مرجع سابق، ص 323.

الشروط والشهادة مع ثلاث من خواصه وعلى رأسهم الفقيه الزاهد أبو محمد عبد الواحد المجاصي، فامتنع أبو العباس عن هذه الوظيفة¹، وكذلك أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد اللخمي التلمساني المعروف بابن الحجاج كانت له مكانة عند الخليفة المنصور وابنه التاصر، وكذلك المستنصر، وتوالت الهدايا عليه ولكنه لم يكن يدخر من عطاياهم قليلا وكثيرا إنما كان يصرف ما يصل إليه من السلطان في الفقراء والمساكين والمحتاجين، وتجهيز الضعيفات إلى أزواجهن، هذا كان دأبه إلى غاية عمره نفعه الله".²

وكذلك تجنّب أبو الحسن القلصادي (ت 891هـ/1486م) مخالطة السلطان لما نزل بتلمسان سنة (840هـ - 1437م) وارتمى في أحضان وسطها الصوفي ينهل منه³.

نلاحظ أنه كان موقف الأولياء متشددا جدا في طلب الدنيا ولو كانت من حلال، فقد قال القطب أبو مدين شعيب: "من اشتغل بطلب الدنيا أبتلي فيها بالذل"⁴، فما بالهم بأموال السلطان وعطاياه التي اعتبرها مال خبيث⁵، ولعدم تجاوز الصوقية سلوكهم الزهدي دفعهم في أغلب الأحوال إلى رفض هدايا وعطايا وأجور السلطان، بما في ذلك الشيخ الفقيه الجليل الفاضل العالم العارف الزاهد الولي عبد الله بن محمد بن علي القصري أحد خواص شيخنا أبي الحسن الحرالي عرض عليه أن يشهد وأن ينصب لمنصب العدول فامتنع من ذلك وعرض عليه القضاء فامتنع منه، ثم طلب به فتخلص منه بحسنى، وقال لإمام الوقت إنني أحتاج أن أغنى من بين المال، وأمكن من خزانة علمية للمطالعة لأستعين بها على ما يعرض لي، ويطلق لي الحكم بما أراه وأرتضيه، فعسر على طالبه مطلبه فتركه"⁶.

¹ - عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 393.

² - البشير غانيا، مرجع سابق، ص 189.

³ - الطاهر بوناني، الحركة الصوقية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع هجريين 14، 15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف الدكتور عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1429-1430هـ/2008-2009م، ص 437.

⁴ - ابن القنفذ القسنطيني، مصدر سابق، ص 18.

⁵ - ابن الرّيات، مصدر سابق، ص 111.

⁶ - الغزبيني، مصدر سابق، ص 170.

II- إسهامات الأولياء في الحياة السياسية.**1- عوامل تجنب الصدام بين الولي والسلطان:**

على الرغم من الولاء الذي كان يحظى به الأولياء من طرف السلاطين في كل من بجاية وتلمسان في المغرب الأوسط، التي يتمثل في زيارتهم لبيوتهم وحضور مجالسهم وأخذ المواعظ منهم وإجزالهم بالهدايا والعطايا وعرض عليهم المناصب والخطط ولكن هذا لا يعني أن الحفصيين والزيايين لم تكن لهم نوايا سياسية، سوء تقديس الأولياء والنيل من بركاتهم.

إن التسليم بالرأي القائل أن الحفصيين اعتنوا بالصوفية من باب القداسة والبركة، رأي يحجب مزلق السياسة الحفصية التي وقفت إلى حد ما في تحسين أوضاع الحواضر دينيا واجتماعيا واقتصاديا خاصة في عهد أبي زكريا وابنه المستنصر وولائهما في بجاية وقسنطينة، لا يعني هذا أن مجتمع المغرب الأوسط لم يكن يعاني من السياسة الحفصية، إذ كانت المكوس والمغارم وأشكال الوظائف مفروضة عليه¹ ومظاهر التفسح الأخلاقي رائجة² والفوارق الطبقية معترف بها رسميا³. والصراع في تونس خاصة بعد وفاة المستنصر قد وصلت أصدائه إلى بجاية وقسنطينة فهدد امن الحضارتين وإستقرارهما السياسي، الأمر الذي جعل الحفصيين يخوذون من الصوفية الذين لهم إتباع وتأثير على العامة من أجل إحتمال إنفجار الاوضاع الإجتماعية، من وحي الصوفية يصعب إخمادها بل إنهم لم يجرؤوا على معارضة الصوفية الذين عارضوا الحكم الحفصي، وعاملوهم بالحسنى⁴ وبالتالي فقد خلت مرحلة الحكم الحفصي (683 . 700 هـ/ 1241. 1301 م) من كل أشكال التصادم بين السلطة والصوفية نشرا لعدة عوامل منها :

أولاً- نجاح حكام الحفصيين خلفاء وامراء وولاءة في إستنباط سياسة تتلائم مع الصوفية، تفاديا لتكرار مأساة إضطهاد الصوفية وطردهم نحو المشرق، كما فعل الموحدون مع أبي الحسن الشاذلي تخوفا من شعبيته⁵.

¹ الفيزيني، مصدر سابق، ص 173-177.

² مصدر نفسه، ص 152-165.

³ روبرت تشفيك، مرجع سابق، ص 169-170.

⁴ الفيزيني، مصدر سابق، ص 173 .

⁵ طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 206 .

وعلى العكس من ذلك تمكن الحفصيون من إحتواء نشاط كبار تلامذة أبي الحسن الشاذلي في بجاية، كابي عبد الله مُجَّد الشريف (ت 666 هـ. 1267 م)، وأبي الحسن علي بن مُجَّد الزواوي¹ لكن هذا لا يعني أن الصوفية سلموا برضوخهم إلى السياسة الحفصية بل كانوا يعارضونهم إن خالفوا الشرع .
فقد عارض أبو عبد الله مُجَّد الشاطبي (ت 691 هـ/1292 م) الولاية في بجاية عندما كانوا يخالفون أمور الشريعة².

ثانيا- لقد ساهم الصوفية أنفسهم في إنجاح هذه السياسة إذ كانوا منقسمين إلى موقفين، موقف تحاشي الصوفية التقرب من السلطة، والاستغناء عن خدماتها، ورفض التصادم معها يمثلها أبو عبد الله مُجَّد السجلماسي (توفي في النصف الأول من القرن السابع الهجري) وأبو زكريا بن محجوبة القرشي السطيفي وأبو مُجَّد عبد الحق بن الربيع وأبو القاسم بن عجلان³.

وموقف ثاني مؤيد للسياسة الحفصية بطريقة غير مباشرة، يمثلها أبو عبد الله مُجَّد الشريف، الذي شاهد في المنام أن القيامة قامت، وأن هناك طوائف من الناس تموضع الحسنات في موازينهم فلما سأل عنهم قبل له أن هؤلاء كانوا يدفعون أجور المغارم، ويؤدون الوظائف والتكاليف المفروضة عليهم للسلطة، فنظر إلى ميزان حسناته فوجده فارغا، لأنه كان معفى من دفع المغارم والوظائف، كما تميز خصه به نظرائه من تجار الصوف فلما استفاق عهد على نفسه من ذلك الحين أن يشارك قرنائهم التجار في دفع المغارم والوظائف.
وبالتالي يشكل هذا السلوك خطابا سياسيا يخدم الحفصيين، ويبرز ميثاقا سياسيا الضرائب والمكوس والمغارم، التي كان الحفصيون يقرضونها على رعيتهم في بجاية⁴.

ثالثا- أن الصراع بين السلطة والصوفية، والذي كان عادة ما ينشب في عهد الموحدون بإيعاز من الفقهاء قد خبا نتيجة اعتناق الفقهاء وغالبية الصوفية للمذهب المالكي في هذه المرحلة التي سلكها الحفصيون في عهد الخليفة المستنصر إزاء المالكية⁵.

¹ الغبريني، مصدر سابق، ص 137. 135 .

² الغبريني، مصدر سابق، ص 126.

³ مصدر نفسه، ص 88-116-120-133.

⁴ الغبريني، مصدر سابق، 178.

⁵ الفرديل، مصدر سابق، ص 300-301.

وصفوة القول فإن علاقة المنصوفة والسلطة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين 13-14 ميلاديين في المغرب الأوسط، كانت قائمة على السلم والهدوء ولا نكاد نعثر على ما يدل على أن العلاقة بينهما كانت عدائية وأن السلطة اضطهدت الصوفية، بل بالعكس من ذلك اعتبرت السلطة أن التقرب من الصوفية يحقق لهم مآرب دنيوية أهمها ضمان ولاء العامة لهم وآخورية في التقرب منهم لنيل بركاتهم¹، أما بخصوص السلطة الزيانية فسعت لتقرب منهم نظرا لمكانتهم وليس بدافع التخوف من نفوذهم، أولا جل استثمارهم في خدمة دولتهم الناشئة، ولكن من باب التقرب والاعتقاد فيهم، ذلك لأن الزيانيين لم يمهّدوا لقيام دولتهم بدعوى مذهبية أو عقديّة تجعلهم يخشون التصادم معهم مع الأفكار الصوفية كما حدث للمرابطين والموحدين² إلا أن النخوف وحب الدين في سبيل الله، التي كان يقوم بها الزيانيون دفاعا عن حياة المسلمين، يعكس اتجاههم الزهدي وميلهم لأهل التصوف³.

2- دور الأولياء في الأزمات السياسية:

كان للمتصوفة دور مهم في الصراعات والحروب المستمرة على الدولة الزيانية من كلا الجانبين، فعملوا -الأولياء- على نشر السلام وتوقيف الصراعات والمعارك، من ذلك ردهم حملة السلطان الحفصي فارس عبد العزيز⁴ التي كانت سنة 827هـ/1433 م، خاصة عند رؤيتهم لحجم الحصار وتأثيره على السكان⁵، ويرجع سبب ذلك لاستغلال السلطان الحفصي ما سمع من سوء سيرة السلطان الزياني أبو مُجَّد بن عبد الواحد بن حمو من انتهاك الحرمات، وظلمه لرعيته، فقام السلطان الحفصي بنهيه عن ذلك فلم ينته، ما جعله يدخل تلمسان عنوة، فهرب أن حمو ملتجأ للجبال، فترك أبو فارس في المدينة مُجَّد بن تاشفين بن أبي حمو (ت 840هـ-1436م)، ابن أخ السلطان الفار، الذي تعهد باستمرار التبعية لدولة الحفصية -إلا أنه إنشق عنهم بعد ذلك، فأظهر العصيان والإستبداد في تلمسان فكانت الحادثة سببا في بداية المعركة، بين الطرفين، فقتل ابن تاشفين عمه أبو مُجَّد بن عبد الواحد بعدما إعتذر لسلطان الحفصي ومكث معه في تونس وهو ما جعل السلطان يفرض حصارا شديدا على مدينة تلمسان .

¹ طاهر بوتاني، مرجع سابق، ص 207-208-209.

² بلعربي خالد، وراقات زيانية دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني، دار هومة، الجزائر، د ط، 2014م، ص 136.

³ ابن خلدون، مصدر سابق، ج 7، ص 137.

⁴ ابن الشماخ، مصدر سابق، ص 112-119.

⁵ الزركشي، مصدر سابق، ص 125-126. النسي، مصدر سابق، ص 244-245.

الولي الصالح عبد الله الحوتي الذي تعرض للسلطان الحفصي ورفض وجوده على المنطقة، قائلاً له "قال السلطان، ظالم لا يحل السلام عليك، اش تسال لهذا الناس؟ تخرب بلاد المسلمين..."¹ ورفض المتصوفة هجوم أبي يعقوب بن يوسف المريني (686-700هـ) هجومه على الدولة الزيانية، وحصاره الطويل (698-700هـ)² مما كلفهم السجن التنكيل منهم ابو عبد الله مُحَمَّد القرموني وأبو العباس بن الخياط³ الذين يعتبرون نموذج صوفية آخرين شجبوا الإعتداء المريني لم تحفظ لنا أسمائهم، وهذا ما حغل السلاطين يتعاملون معهم بجذر شديد، وعملوا على إستثمار هذه العلاقة معهم وإستغلالها لخدمة مصالحهم أي أسلوب التعايش المصلحي مثلما عمل أبو تاشفين⁴، الأول الذي استغلهم لأغراض سياسية وذلك باتصاله بالذين كانوا يتمركزون بنواحي الزاب (بسكرة)، لحنهم على محاربة الدولة الحفصية⁵ والمهام التي كان لشيخ عبد الله الشريف يكلف بها من السلطان أبو محود الثاني سفيرا إلى المغرب الأقصى والمغرب الأدنى، وقال عنه بعد وفاته لابنه "... لأنني أباهي به الملوك"⁶.

¹ ابن مريم، مصدر سابق، ص 268 . 269 .

² يحيى ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 209 .

³ طاهر بوناني، مرجع سابق، ص 205 .

⁴ التنسي، مصدر سابق، ص 139 .

⁵ مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الاحوال الإجتماعية، دار الحضارة، الجزائر، دط، 2007 م، ج3، ص 97 .

⁶ سفيان بويدي، مرجع سابق، ص 35.

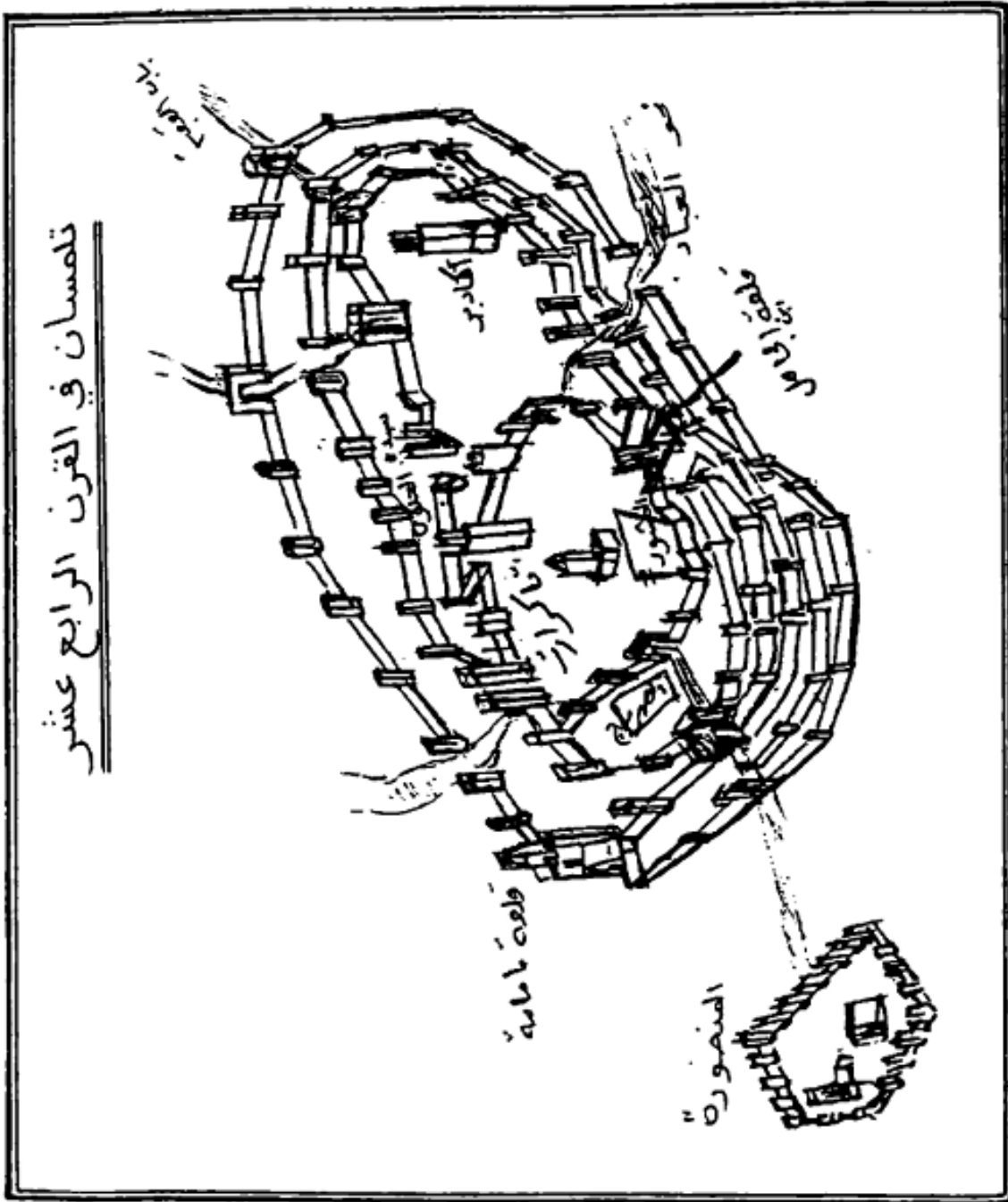
الخاتمة

الخاتمة:

- وفي الأخير وبعد دراستنا لموضوع الأولياء والسلطة في المغرب الأوسط خلال القرنين الـ 7 و 8 هجريين والـ 13 و 14 ميلاديين خرجنا بعدة نقاط واستنتاجات أهمها:
- إن إعطاء تعريف موحد للولي والولاية ليس بالأمر الهين يرجع ذلك إلى الاختلاف في وجهات النظر فيه كل من علماء الفقه وعلماء المتصوفة وعلماء علم الكلام.
 - اشتراك الأولياء في أسلوب حياتهم التي تميزت بطابع الزهد والتقشف مبتعدين عن حياة الرفاهية والبذخ.
 - ولقد كان الأولياء يتدرجون في مراتب الولاية نحو قمة الهرم وهي مرتبة القطب وهو الغوث.
 - كان للأولياء دور في نشر الدين الإسلامي الصحيح وترسيخه في المجتمع، وبعث التربية الدينية الصحيحة والتحلي بالأخلاق الحميدة ومحاربة الفساد بشتى أنواعه.
 - كذلك السلاطين بالمغرب الأوسط خلال الفترة الزمنية المدروسة كان لهم دورا بارزا في مجتمعهم بالمغرب الأوسط، في فترة الأزمات التي شهدوها إذ كانوا يقدمون لهم يد العون ويتكلفون بشؤونهم. كما عملوا أيضا على تشجيع العلم والعناية بالعلماء.
 - حاول السلاطين على احتواء الأولياء والتقرب والتودد إليهم هذا لأن الأولياء أصبحت لهم مكانة عظيمة في وسط المجتمع بالمغرب الأوسط، فخشي السلاطين من هذا الالتفاف الشعبي حولهم فينقلبون عليهم ويستحوذون على السلطة فبادروا بتقديم الهدايا والأموال لهم وعرض عليهم المناصب والخطط.
 - إلا أن الأولياء كانوا يتعدون عن كل هذه المغريات الدنيوية فيرفضون ذلك من السلاطين مفضلين حياة الزهد والتقشف والانعزال إلى الله تعالى بعيدين عن ملذات الدنيا وشهواتها لا يفكرون إلا بالآخرة.
- وبالتالي قد خلت فترة الدولة الزيانية والحفصية في المغرب الأوسط من كل أشكال التوتر والصدام بين الأولياء والسلطة، بل كان للأولياء دور في الأزمات السياسية.

الملاحق

الملحق رقم 02: تلمسان في القرن الرابع عشر والأسوار المحيطة بها¹



¹ عبد العزيز فيلاي، مرجع سابق، ص 628.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر:

1. ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت1110هـ-1699م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمية، تونس، ط1، 1286 هـ. 1889 م.
2. ابن الازرق، أبو عبد الله محمد الأصبحي الغرناطي (ت896هـ-1490م): بدائع السلك في طبائع الملك، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، دط، دت.
3. ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت627هـ-1229م): التشوّف إلى رجال التّصوّف وأخبار أبي العباس السبّتي، مطبعة التّجّاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997 م.
4. ابن الشماع، أبو عبد الله محمد (ق9هـ-15م): الادلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، دار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1984م.
5. ابن القنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد الخطيب (ت810هـ-1407م): أنس الفقير وعزّ الحقيير، تح: محمد الفاسي، وأودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كليّة الآداب، الرّباط، د ط، 1995م.
6. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلّيم الحرّالي (ت728هـ-1328م): "مجموع فتاوي ابن تيمية" مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، دظ، 1425هـ/2004م، مج11.
7. ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ-1448م): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ط1، دت، ج11.
8. ابن حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت745-1344م): البحر المحيط، تح: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1314هـ./1993م، ج5.
9. ابن خلدون، ابو زكريا يحيى (ت780هـ-1378م): بغية الرّواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنيّة، الجزائر، دط، 1980م، ج1.
10. ابن خلدون، عبد الرحمان (ت808هـ-1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ-2000م، ج6.

11. ابن سعد، مُجَدِّد بن سعيد الأندلسي التلمساني (ت901هـ-1495م): روضة النسر في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح: يحي بو عزيز، المؤسسة الوطنية للإشهار، الجزائر، دط، 2004.
12. ابن عذاري، أبو العباس احمد بن مُجَدِّد المراكشي (ت712هـ-1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1406هـ/1985م.
13. ابن عربي، محي الدين مُجَدِّد بن علي (ت638هـ-1240م): الفتوحات المكية، تح: عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1405هـ/1985م.
14. ابن مرزوق، أبو عبدالله مُجَدِّد (ت781هـ-1379م): المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 1429هـ/2008م.
15. ابن مريم، أبو عبد الله مُجَدِّد بن مُجَدِّد ابن أحمد (ت1041هـ-1632م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مطبعة الثعالبية، للجزائر، ط1، 12226هـ، 1908م.
16. ابن منصور، أبو الفضل جمال الدين مُجَدِّد بن مكروم بن (ت711هـ-1311م): لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط1، 1300هـ/1283م، ج15.
17. أبو حمو، موسى الزباني التلمساني (ت719هـ-1388م): واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، دط، 1279هـ/1862.
18. الإدريسي، أبو عبد الله الشريف محمد (ت560هـ-1164م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983م، ج1.
19. -ازهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا، مطبعة لجنة، للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، 1359هـ-1940م، ج2.
20. الأصفهاني، عماد الدين محمد (ت340هـ-1038م): خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد المريني وآخرون، الدار التونسية للنشر، دط، 1966م، ج1.
21. البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن عبدالله الشرازي (ت685هـ-1286م): أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي، تح: مُجَدِّد صبحي بن حسن الحلاق ومحمود أحمد الأطرش، دار الفكر، بيروت، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، دمشق بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج2.

22. - تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقبان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود آغا بوعبيد، موفم لنشر، الجزائر، دط، 2011م.
23. التعريفات للشيخ الأكبر، تح: رفيق العجم، ضمن مجلة الابحاث الأمريكية، العدد 36، بيروت، دط، 1988.
24. التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا، دار الكتاب اللبناني، دط، 1979م.
25. التنسي، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ (ت 899هـ-1493م): نظم الدرّو العقبان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بوعبيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985م.
26. الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت 816هـ-1413م): كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1985م.
27. الحنفي، صدر الدين علي بن علي بن محمد بن ابي العز (ت 731هـ-1331م): شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تح: أحمد محمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ط1، 1418هـ/1997م.
28. الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت 666هـ-1268م): مختار الصحاح، تح، محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1986م.
29. الرازي، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر (ت 604هـ-1208م): تقسيم الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح العنب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م، ج 17.
30. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت 1205-1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، تح: ظاهي عبد الباقي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط1، 1422هـ/2001م، ج 40.
31. الزركشي، عبد الله محمد بن أبي إبراهيم (ق 9هـ-15م): تاريخ الدولتين الموحديّة والحفصية، تح: محمد مأخود، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1960م.
32. شرح الزلال في شرح الالفاظ المتداولة بين أرباب الازواق و الاحوال ، تح:عاصم غبراهيم الكياني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دط ، 2005م.
33. الشعرائي، عبد الوهاب بن أحمد بن علي (ت 973هـ-1566م): البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، دط، دت. ج 2.

34. الشوكاني، مُجَّد بن علي بن مُجَّد (ت 1250هـ-1834م): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: عبد الرحمان عميرة، دار الوفا، دط، 1415هـ/1994م، ج 2.
35. الصديقي، طاهر (كان حيا سنة 569هـ-1200م): السّر المصون فيما أكرم به المخلصون، تح: حليلة فرحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.
36. العمري، أحمد بن يحيى ابن فضل الله (ت 749هـ-1348م): مسالك الابصار في ممالك الامصار، منشورات معهد تاريخ العلوم العربيّة والاسلاميّة، جامعة فرانكفورت، دط، 1408هـ/1988م.
37. الغبريني، ابن أحمد بن عبد الله ابو العباس (ت 644هـ-714م): عنوان الدّارية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة بجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.
38. الفارسية من مبادئ الدولة الحفصية، تح: مُجَّد الشاذلي و عبد المجيد التركي، دار التونسية لنشر، ط1، 1968م.
39. الفيروز آبادي، مجد الدين مُجَّد بن يعقوب (ت 817هـ-1414م): القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف مُجَّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ/2005م
40. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم ابن هوزان النسابةوري (ت 465هـ-1072م): الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود ومحمود بن شريف، مطالع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، دط، 1409هـ، 1989م.
41. القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت 821هـ-1418م): صبح الأعش في صناعة الأنشا، دار الكتب الخيرية، القاهرة، دط، 1915م.
42. الكاشاني، عبد الرزاق (730هـ-1330): معجم الاصطلاحات الصوفية، تح: عبد العال الشاهي، دار المنارة، القاهرة، ط1، 1413هـ/1992م.
43. الكمشخاني، أحمد بن مصطفى ضياء الدين النقشبندي (ت 1311هـ-1894م): جامع الاصول من الأولياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق، مطبعة الوهبية، مصر، دط، 1298 م. 1881.
44. ليون الإفريقي، حسن بن مُجَّد الوزان الفاسي (ت 956هـ-1549م): وصف إفريقيا، تر: مُجَّد حجي، مُجَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج2.
45. المقرئ، أحمد بن محمّد التلمساني (ت 1041هـ-1631م): نفخ الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرهما لسان الدّين بن الخطيب، تح: احسان عبّاس، دار صادر، بيروت، دط، 1448هـ/1988م.

46. المناوي، مُجَّد عبد الرؤوف (ت1031هـ-1622م): التوقيف على مهمات التعاريف، تح: مُجَّد رضوان الدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، 1410هـ/1989م .
47. الونشريسي، أحمد بن يحيى التلمساني (ت915هـ-1508م): المعيار المغرب من فتاوى علماء إفريقياء والأندلس والمغرب، تح: مُجَّد الحجى وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1401هـ/1981م، ج1 .
- ثانيا- المراجع:
- أ- الكتب:
1. بريكة مسعود، النَّخبة والسُّلطة في بجاية الحفصية (7-9هـ/13-15م)، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2014م.
2. البستاني، بطرس: دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، دط، دت، ح10 .
3. بلعربي، خالد: ورقات زيانية دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني، دار هومة، الجزائر، د ط، 2014م.
4. بوكريديمي، نعيمة: الرحلة العلمية لعلماء تلمسان إلى فاس خلال القرن 8هـ-14م، دار العرب لنشر والتوزيع، تلمسان، دط، 2012.
5. بوناني، طاهر: التَّصوِّف في الجزائر خلال القرنين (7،6 هجريين) (13،12 ميلاديين)، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، دط، 2004م.
6. التليدي، عبد الله بن عبد القادر: المطرب لمشاهير أوياء المغرب، دار الأمان، الرباط، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط4، 1424هـ/2003م .
7. الجيلاني، عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، لبنان، ط6، 1983، ح2.
8. حاجيات، عبد الحميد: أبو موسى الزياني (حياته وآثاره)، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1982.
9. حركات ، إبراهيم: المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، إفريقيا الشرق، بيروت، دط، 1998م.
10. حساني، مختار: تاريخ الدولة الزيانية الاحوال الإجتماعية، دار الحضارة، الجزائر، دط، 2007 م، ج3 .
11. الحفناوي، أبو القاسم محمَّد (ت1360هـ-1943م): تعريف الخلف برجال السلف، المؤسسة للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 1991م، ج2.

12. الحكيم، سعاد: المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1401هـ/ 1981م .
13. حلمي، عبد الوهاب مُجَّد: ولاية وأولياء السلطة والمتصوفة، في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2009، 1م .
14. الدباغ، أبو زيد عبد الرَّحمان بن مُحَمَّد الأنصاري (ت969هـ-1297م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1426هـ/ 2006م، ج3 .
15. سعيدوني، نصر الدين: دراسات أندلسية ومظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003.
16. الشاذلي، عبد الطيف: التصوف والمجتمع (نماذج من القرن العاشر هجري)، منشورات جامعة الحسن الثاني، المغرب، دط، 1989.
17. عبّيد، بوداود: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط بين القرنين 7-9هـ/13-15م، دراسة في تاريخ السوسيو الثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، دط، 2003م.
18. العجم، رفيق: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامية، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ط1، 1999م.
19. غلاب، عبد الكريم: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي (عهد العصر التركي في تونس والجزائر)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2005م، ج2 .
20. الغنيمي، عبد الفتاح المقلد: موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مديولي، القاهرة، ط1، 1994م، ج5.
21. فركوس، صالح: تاريخ التّظم القانونيّة والاسلاميّة، دار العلوم للنّشر والتّوزيع، عبّابة، دط، دت.
22. فيلاي، عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم، لنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ج1.
23. مُجَّد عمور الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984.
24. مخلوف، مُجَّد بن مُجَّد (ت1360هـ-1941م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، مطبعة السلفية ومكبتها، القاهرة، دط، 1350هـ.

25. النبهاني، يوسف بن إسماعيل (ت1350هـ-1932م): جامع كرامات الأولياء، تح: إبراهيم عطوة عوض، مركز أهل السنة بركات رضا قوريندر، الهند، ط1، 1322هـ-2001م، ج1 .

ب- الكتب المعرّبة

1. برنشفيك، روبرار: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15م، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م، ج2 .
2. بل، الفرد: الفرق الإسلاميّة في الشّمال الإفريقي من الفتح العربي حتّى اليوم، تر: عبد الرّحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987م.
3. بولانتزاس، نيكوس: السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية، تر: عادل غنيم، دار ابن خلدون، بيروت، ط2، 1983.

ج- المذكرات الجامعية:

1. بسكاكو، مريم: المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب الإسلامي ودورها في التواصل الفكري من القرن (07 . 09 هـ - 13 . 15 م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراء علوم في تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف الدكتور مبخوت بودواية، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (1438-1439هـ/2017-2018م).
2. بكاي، هوارية: العلاقات الزبانية المرنية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف الدكتور مبخوت بودواية، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بلقايد، تلمسان، 2007 . 2008م.
3. بن فيزة، فتيحة وآخرون: الأولياء والزّهاد في المغرب الأوسط من خلال كتاب البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان لابن مريم التلمساني (ت 1025هـ / 1616م)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف الدكتور حمزة عبد الصمد، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحي فارس بالمدينة، 2019-2020م.
4. بو ثلجة، فضيلة وآخرون: الإشعاع الحضاري والفكري للأندلسيين. في المغرب الأوسط خلال القرنين (ق 7 . 9 هـ / 13 . 15 م) بجاية وتلمسان نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 1436. 1437 هـ / 2015 . 2016 م.

5. بوناني، الطاهر: الحركة الصوفيّة في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع هجريين 14، 15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف الدكتور عبد العزيز فيلاي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1429-1430هـ / 2008-2009م .
6. بويدية، سفيان: التّصوّف في المغرب الأوسط خلال العهد الزّيّاني (633-962هـ/1235-1554م)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، إشراف الدكتور مسعود كواقي، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة غرداية، 1435-1436هـ/2014-2015م .
7. جدو، فاطمة الزهراء: السلطنة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين (470-635هـ/1086-1238م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور ابراهيم بكير بحاز، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 1428-1489هـ/2007-2008م .
8. شكيمة، ربيعة و آخرون: التّصوّف في المغرب الإسلامي خلال العهد الموحّدي (515-668هـ/1221-1269م) مذكرة مكتملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بالوادي، 1433-1434هـ/2011-2012م.
9. غانيا، البشير: الأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين(479-635هـ/1086-1238) أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف الدكتور مُجّد الامين بلغيث، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 1436-1437هـ/2015-2016م.
10. لدراع، آمال: الحركة الصوفيّة في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزّيّاني (633-962هـ/1236-1555م)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور بوبه مجاني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، 1426-1427هـ/2005-2006م .
11. لغشيم، مصطفى: هجرة العلماء بين المغربين الاوسط والأقصى دراسة إجتماعية وثقافية(القرن 7 هـ- 13 . 15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية والاسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2012 هـ . 2013م.

12. مردور، سمية: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور مُجد الأمين بالغيث، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة منتوري قسنطينة، 1429-1430هـ/2008-2009م.
13. مسعودي، جميلة مبطي: المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها (سنة 661هـ وحتى سنة 893هـ)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1421هـ . 2000م).
14. ملياني، زينب: التّصوّف الإسلامي في عصري المرابطين والموحّدين، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة الجزائر، 2006-2007م /1427-1428هـ .
15. مهريّة، مروّة وآخرون: الصراع السياسي بين الحفصيين والمرينيين (732 - 759هـ / 1331 . 1358م)، مذكرة مكّملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماسّتر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، إشراف الدكتور واعظ نويوة، قسم العلوم الإنسانيّة، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، (1437-1438هـ/2016-2017م).